جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أعلام الإسلام
سلسلة تصدر
غرة كل شهر عربى
(٣)

الإمــام

الليث بن سعد

لمحات من حياته وشذرات من فقهه

رجب عبد المنصف

القاهرة
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أعلام الإسلام
سلسلة تصدر
غرة كل شهر عربي
(٣)

الإمام
الليث بن سعد

لمحات من حياته وشذرات من فقهه

رجب عبد المنصف

القاهرة
صفر ١٤٢٥هـ - أبريل ٢٠٠٤م

يشرف على إصدارها

الدكتور/ محمود حمدى زقزوق

وزير الأوقاف

ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الدكتور/ عبدالصبور مرزوق

نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

على سبيل التقديم

أ . د / عبد الصبور مرزوق
أمين عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

" بسم الله الرحمن الرحيم "

" الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى " وبعد ،،،

فإن الحديث عن الليث بن سعد يكاد يكون فى حقيقته حديثًا عن القيم والمثل .

ولا غرو فى هذا ، فقد تمثل مترجمنا معانى الإسلام حق التمثل ، فجسدها ماثلة للعيان ، يراها الناس فى سلوكه ، ويحسونها فى كل ما يأتى وما يدع .

والعادة فى الناس أن حظوظهم فى الحياة متفاوتة ، فأخلاقهم كأرزاقهم غير أن الأمر فى حياة الليث – رحمه الله – على غير ذلك .

فهو مع أنفته عن شهوة الملك وفتنة السلطان – زهدًا واستعلاء – نراه صاحب جاه عريض يعزل الولاة ويستبدل القضاة .

ومع أنه كان تقيًا نقيا لم يعص الله قط وهو ما يظهر فى قولـــه : (إنى لأعرف رجلاً لم يأت لله محرمًا قط) فعرف أنـــه أراد نفســـه لأن أحدًا لا يعلم هذا من أحد إلا إننا نراه سريع الدمعة كثير البكـــاء يهش للكلم الواعظ ويتأثر به أيما تأثر ، على ما حدّث بـــه منصـــور الواعظ .

وهو فى السخاء والجود البحر المعطاء والنهر الدافـــق يذكرنـــا بأثرياء الصحابة رضوان الله عليهم .

ويكفى أن نستعيد هنا ما كان من شراء بعض الناس ثمـــرة ثـــم استقلوها ــ أى طلبوا فسخ البيع ــ فأقالهم .

ولم يكتف بذلك وإنما عوضهم عنها فقدم لهم شيئًا من المـــال ، فلما استفسر ابنه عن علة ذلك أجابه اللهم غفرانك ، إنهم قـــد أملـــوا فى ذلك أملاً فأحببت أن أعوضهم عن أملهم بهذا .

ومع هذا فهو كثير الإنصاف لأصحابه وتلاميذه يثنـــى عليـــهم ويشيد بقدرهم وهو ــ رحمه الله ــ إلى اهتمامه بالأمر العام واشتغاله بالإصلاح والاحتساب فقيه من الطراز الأول وصاحب مرويات عالية الإسناد تشرئب لها الأعناق .

وهنا نقف برهة وجيزة ، لنرى ما الذى قعـــد بأصحابـــه عـــن النهوض بمذهبه ونشره بين الناس على ما هو المعـــهود فـــى مثلـــه ومثلهم ؟

السر عندى فى ذلك على الرغم من اجتهاد المجتـــهدين وتعـــدد آرائهم يرجع إلى النقص الذى يعترى جملة البشر .

ومع هذا فإن هناك محاولات عديدة ظهرت فى الآونة الأخـــيرة لتجميع فقه هذا الإمام الجليل والإشارة إلى أصوله وتلبية إلى مظانـــها لردّ الاعتبار إلى إمام مصر وفقيهها بعد أن ضيعه أصحابه كما قـــال الإمام الشـــافعى رحمـــه الله ــ الليـــث أرفقـــة مـــن مـــالك إلا أن أصحابه ضيعوه .

ولعل فى هذه الدراسة التى ينشرها المجلس اليوم مـــا يعـــرف شبابنا وناشئتنا ما كان لأسلافهم من نباهة الذكر وجلال العلم ما يكـــون حافزًا لهم لمواصلة ما بناه الأجداد وشيده الأســـلاف فيقتـــدون بـــهم ويتأسون .

والله من وراء القصد ،،،

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى وصلوات الله وسلامه على النبى والمصطفى ..

وبعد . ،

فلأديب الشام ومؤرخه المعاصر الشيخ على الطنطاوى وصف جامع لأبى الحارث الليث بن سعد ينبئ فيه عن صفات الشيخ وأحواله ، لعل اللغة قد أسلمت له قيادها ، فاختار منها ما الشيخ جدير به ، فجاء تعبيره الوارف ليمثل الحقيقة فى أزهى صورها وهو فى الوقت ذاته ينم عن التقدير فى أتم وجوهه ، قال رحمه الله : " علم شامخ من أعلام الإسلام ، وإمام من أئمة الدين ، وأحد أفراد الدنيا علما وذكاء ، ونبلا ، ورفعة ، وسخاء ، وكرما ، أجمعوا على أنه عدل مالك فى الفقه ونظيره فى الاجتهاد ، وإنه لمصر مثل مالك للمدينة : لا يفتى ومالك فى المدينة ، ولا يفتى والليث فى مصر وهو بعد أعظم جاها من مالك ، وأكثر مالا ، وأسخى يدا ، وأجزل عطاء .

ولقد عرف له الأولون فضله وعلمه ، وسموه ورفعته ، فعاش رئيسا فى العلماء ، مقدما عند الخلفاء ، مطاعا عند الولاة ، مبجلا عند الخاصة ، موقرا عند العامة ، وازدحمت عليه النعم ، وأقبلت عليه الخيرات ، ودنت منه الأمانى ، فأوتى العلم والعقل والصحة

والمال ، والريادة والجاه ، وأوتى مع هذا كله نفسا أكبر من هذا كله ، فما التفتت إليه ، ولا تمسكت به ، ولا شغلها عن دينها وتقواها . مالت إليه الدنيا فمال عنها ، ومنح من كل نعمة أوفاها ، فما قصر فى شكر ، ولا زهد فى أجر ، وكان سيد مصر ، أمره قبل أمر الولاة ، وحكمه فوق حكم القضاة ، فما اقتنص بذلك دنيا ، ولا غمص عليه فى بطن ولا فرج ، وكان دخله بين عشرين وثمانين ألف دينار فى العام ، فما كنز بيضاء ولا صفراء ، ولا منعها فقيرا ، ولا أمسكها عن ذى حاجة ، فأطبق العلماء على إجلاله ، واتفق المصنفون على الثناء عليه ، وعقدت القلوب على حبه ، وأجمع الناس على احترامه " (١) .

وهذه الدراسة التى نعدها اليوم عن إمام مصر وفقيهها ما هى إلا تفصيل لما أجمله الشيخ من صفات الليث وأحواله وفقهه وأصوله وعوالى حديثه .

وقد خصصت الفصل الأول لبيان النشأة والصفات وثناء الأئمة الأعلام .

فى حين اقتصر الفصل الثانى على فكره ومذهبه وما أثر عنه فى مصادر التشريع وقضايا الأصول فضلاً عن مسائله .

أ . رجب عبد المنصف

---

(١) مجلة الرسالة ــ السنة ٣ ــ العدد ٨٧ ص ٣٣٢ .

تمهيـــــد

لعل من المناسب قبل أن نتعرف على الليث بن سعد فى نشـــأته ودرسه أن نلم فى هذه العجالة بالدراسات السابقة التى جعلـــت مـــن الليث بن سعد موضوعا لها ، فعرفت به وترجمت له وأولـــى هـــذه الدراسات :

١ــ (الرحمة الغيثية بالترجمة الليثية) (١) وقد جمع فيـــه ابـــن حجر ما تناثر فى كتب الطبقات ومصادر المؤرخين من أخبار الليـــث وأحواله مع ذكر أربعين حديثًا من عواليه والتى ســـبقه فيـــها ابـــن قطلوبغا الحنفى حيث ذكر هذه العوالى (٢) .

ودارت ترجمة ابن حجر حول الموضوعات التالية والتى أشـــار إليها فى مقدمته للكتاب وهى :

١ــ نسبه ومولده .

٢ــ طلبه للعلم وأسماء شيوخه .

٣ــ نبوغه فى طلب العلم وتحريه أسباب المروءة .

٤ــ ثناء الأئمة عليه .

---

(١) نشرت هذه الدراسة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية عام ١٣٤٣هـ .

(٢) نشر هذا الجزء بعنوان عوالى الليث بن سعد .

٥ــ بيان منزلته عند الخلفاء وغيرهم .

٦ــ الإشارة إلى تلاميذه .

٧ــ وفاته .

٨ــ ذكر أربعين حديثًا من عواليه .

ويلاحظ من هذا العرض أن ابن حجر لم يتعرض لفقــه الليــث ولم يذكر شيئًا من مسائله ، ناهيك عن أصولــه ، اللــهم إلا مســألة واحدة نذكرها ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نرى ابن حجـــر يذكر أن الليث لم يصنف شيئًا من الكتب حيث قال : (لكنه ما صنف شيئًا من الكتب ولا دون أصحابه المسائل عنه) [1] وهذا النفى مــن ابن حجر منقوض بما ذكره ابن النديم من أن له كتابين أحدهما فـــى المسائل ، والآخر فى التاريخ [2] .

الأمر الأخير الذى نحب أن نشير إليه هنا :

قول ابن حجر (أنه كان يرى تحريم أكل الجراد الميـــت وقد نقل ذلك أيضًا عن بعض المالكية) [3] .

---

(١) الرحمة الغيثية ص٢٤٧ .

(٢) الفهرست ص٣٣٩ وتعبير ابن النديم يفيد أن له كتبًا أخرى حيث قـــال (ولــه فــى خاصة من الكتب ، كتاب التاريخ ، كتاب فى مسائل الفقه) .

(٣) مجموعة الرسائل المنيرية جـ٢ ص٢٤٧ .

والذى نريد أن نثبته هنا أن رأى الليث هذا قاسمه فيه مالك وليس بعض أتباعه يقول ابن المنذر (أجمع الفقهاء على جواز أكل الجراد إذا وجد ميتًا وانفرد مالك بن أنس والليث بن سعد فحرماه) (١) .

قطرات الغيث من حياة الإمام الليث للشيخ الكوثرى ، وقد ذكره صاحبه فى معرض تعليقه على تبيين كذب المفترى حيث قال تعليقًا على قول ابن عساكر : (وكأنكم لم تسمعوا بمذهب الليث ابن سعد وقد ذكرنا كلتا الرسالتين القيمتين بنصهما فى كتابنا قطرات الغيث من حياة الإمام الليث) (٢) .

غير أنه يبدو أن كتاب الكوثرى هذا قد فقد فلم يظهر له أثر على حداثة العهد .

دراسة الشيخ مصطفى عبد الرازق : (٣) .

وهى دراسة قيمة على صغرها . تناول فيها بالتحليل والبيان شخصية الليث بن سعد وأورد فيها لمحات من دقيق فكره ونظره

---

(١) الإجماع لابن المنذر ص١٢٥ ط دار الدعوة .

(٢) تبيين كذب المفترى لابن عساكر هامش ص٣٦٠ .

(٣) الدراسة بعنوان الإمام الشافعى تناول فيها كلاً من الشيخ محمد عبده والإمام الليث فضلاً عن الشافعى وكان نصيب الليث فيها اثنتان وعشرين صفحة من ص٧١-٩٣ .

وأنه مهد للشافعي طريق الأصول كما أنه وجه الحركة الفقهية إلـــى الناحية الخلقية الأمر الذى جعله جديرًا بأن يوضع فى مصاف أئمــة الصوفية [1] .

ـ دراسة الدكتور عبد الله شحاته :

ومن الدراسات التى أولت الليث بن ســعد عنايتــها واهتمامــها دراسة الدكتور عبد الله شحاته عن الليث فقيه مصر ويحمد له فيـــها اهتمامه بتتبع مرويات الليث بن سعد فى الصحاح كما سلط الضـــوء على مروياته فى التفسير والتاريخ .

ـ دراسة الدكتور السيد أحمد خليل (الليث بن سعد فقيه مصر) :

وأول منحى لهذه الدراسة هى تأثرها بدعوة الشيخ أمين الخولــى فى بيان أثر البيئة المصرية وخصائصها فى الإنتاج وهـــى الدعـوة التى ما فتئ يدعو إليها وقد استجاب له فيها عـــدد مـن البــاحثين . فبجانب الدكتور خليل نجد الدكتـــور مصطفــى الصــاوى الجوينــى يخصص أطروحة لبحث ملامح الشخصية المصرية فى الدراســـات البيانية .

(١) انظر ص٨٧ .

وقد شغلت مقدمة الدكتور خليل ثلث الكتاب .

ولعل هذه الدراسة هى أولى الدراسات الحديثة التى ساقت لنا عدداً من آراء الليث [١] .

ـ دراسة الدكتور عبد الحليم محمود [٢] :

وقد بدأ الدكتور عبد الحليم محمود حديثه عن الليث بن سعد على هيئة مقالات متتابعة فى مجلة الوعى الإسلامى ثم جمع هذه المقالات وأورد فيها عدداً كبيرًا من مرويات الليث فى الصحيحين مبوبة على عدد من الموضوعات مثل الرسول ﷺ ، الصحابة ، الصلاة ....

وقد اعتمد الدكتور عبد الحليم محمود اعتماداً كبيرًا على حلية الأولياء كما أشار إلى اللمحات الدقيقة التى اختص بها سلفه مصطفى عبد الرازق .

---

(١) انظر ص١٦٠ـ١٧٣ من كتابه . وقد ورد فيه بعض الأخطاء خاصة فى مجال القراءات وترجيحه لقراءة على أخرى وهو أمر لا يجوز لأن القراءات المتواترة سنةٌ ثابتة لا يُقال فيها هذه أرجح وتلك أدق .

(٢) ط دار المعارف ١٩٦٩م .

ثم نأتي لدراسة أخرى بعنوان (تقريب المدارك بشرح رسالتي الليث بن سعد والإمام مالك) لعبد السلام علوش [1] ، وهي تخالف الدراسات السابقة في اقتصارها على شرح الرسالتين مع نبذة في ترجمة الإمامين . إلا أنه يغلب عليه التعصب المذهبي والذي يظهر أول ما يظهر من عنوانها .

ــ كما ظهرت دراسة أخرى للدكتور محمود سعد بعنوان (فقه الليث بن سعد في ضوء الفقه المقارن) وتعد مدخلاً طيبًا لفقه الليث من خلال إرجاعها لأراء الليث الفقيه إلى فكره الأصولي ، وقد ظهرت هذه الدراسة عام ١٩٨٨م .

ــ أما الدراسة الأخيرة عن الليث فقد ظهرت مؤخرًا وبالتحديد عام ٢٠٠٢م للدكتور قلعجي في إطار موسوعته (فقه السلف) وهي دراسة تشبه الدراسة السابقة عليها ويبدو أن الدكتور قلعجي لم يطلع عليها إذ اعتبر دراسته هي الأولى من نوعها ، وهو مسبوق بما سبق ويلاحظ أن الدراستين السابقتين لم تتعرضا للترجمة الشخصية بالقدر الكافي .

---

(١) ط المكتب الإسلامي ــ بيروت .

الفصل الأول

لمحـــــات
من الحياة والنشأة

الليث بن سعد (*)

١ـ نسبه :

الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى المكنى بأبى الحارث الملقب بالمصرى [1] .

(*) انظر ترجمة الليث فى المصادر التالية :

الطبقات الكبرى لابن سعد جـ٧ ص٥١٧ ، حلية الأولياء لأبى نعيم جـ ٧ ص٣١٨ ، تاريخ بغداد للخطيب البغدادى جـ١٣ ص٣ ، الأنساب للسمعانى جـ٤ ص٤١٣ ، مختصر تاريخ دمشق جـ١ ص٢٤٩ سير أعلام النبلاء للذهبى جـ٨ ص١٤٣ ، الجرح والتعديل لأبن أبى حاتم الرازى جـ٧ ص١٧٩ ، شذرات الذهب جـ١ ص٢٨٥ ، النجوم الزاهرة جـ٢ ص٨٢ ، تذكرة الحفاظ للذهبى جـ١ ص٢٢٤ ، الرحمة الغيثية لابن حجر ، ومن الدراسات الحديثة ، انظر أعلام الإسلام للشيخ مصطفى عبد الرازق ، الليث بن سعد د . عبد الحليم محمود وغير ذلك مما يأتى فى موضعه .

(١) اختلفت المصادر فى بيان اسم الليث معرفا أو ليث بدون أداة التعريف فبعضها يذكره معرفا كابن سعد ، وابن العماد ، والسيوطى ، والتغربردى ، وعلى الجانب الآخر نجد الخطيب البغدادى ، والذهبى حيث يقولون ليث .

٢ــ مولده :

ولد الليث فى شعبان عام٩٤هــ على ما روى عن نفســـه أنــه (ولد فى شعبان سنة أربع وتسعين) ، ويحدد بعض المؤرخين اليـوم والتاريخ تحديدًا قاطعًا فيقول : إنه ولد يوم الجمعة الرابع عشر مـــن شهر شعبان [(١)] .

وقــد ولــد الليــث بقريـــة قلقشــندة [(٢)]بمركـــز طـــوخ ــ محافظة القليوبية .

* نشأة الليث :

لم تول كتب الطبقات والتراجم عنايتها واهتمامها بنشـــأة الليــث وحياته الأولى ، وما يصاحب ذلك عادة من الحديــث عــن الآبــاء

---

(١) انظر المصادر السابقة .

(٢) وقد ضبطها القلقشندى فقال : قلقشندة بفتح القاف وسكون اللام وفتح القـــاف الثانيـة والشين المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وبعدها هاء ساكنة جــ٣ ص٤٠٣ .

وهو الصحيح على ما بين القلقشندى فى صبح الأعشـــى . أمــا يــاقوت فيســميها قرقشنده (معجم البلدان جــ٤ ص٣١٨) .

وهى بلدة حسنة المنظر غزيرة الفواكه . وقد أحب الليث قريته هذه حتـــى أن ابـــن رفاعة هدم دار الليث ثلاث مرات وهو يعيد بناءها . وقد أتاه فى الثالثة آت فـــى المنـــام وقال له : قم يا ليث ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ ونريد أن نمن على الذيـــن اســتضعفوا فـــى الأرض ﴾ فأصبح وقد فلج ابن رفاعة فأوصى إليه على ما ذكره ياقوت فى معجمه .

والأجداد ، وما قدموه لأولادهم من آثار وإمكانات وما أخذوهم به من آداب وتوجيهات ، فهي مطبقة الصمت عن كل ذلك إلا أن الناظر فيما أوردته هذه المصادر من شذرات ولمحات هنا وهناك يستطيع أن يرسم معالم هذه النشأة وقسماتها إن لم تكن بصورة كاملة فهي على الأقل جامعة لملامحها الأصلية ومعالمها الثابتة .

ومن ذلك :

١ــ عروبة أسرته :

ينتمي الليث لأسرة عربية تنتمي بدورها لقبيلة فَهم التي هي بطن من بطون قيس ، عرض عليه ولاية مصر فأبى تورعا ، ووليها ابن عمه الوليد بن رفاعة بن خالد بن طاعن الفَهمي ، في الفترة من ١٠٩ــ١١٧هـ وهو عربي صراح من فَهم وما دام هو والليث أبناء عمومة فلابد أن يكون الليث عربيًا مثله . وقد اختلف المؤرخون في عروبة الليث هذه فنفاها قوم وأثبتها آخرون وهو الأرجح .

ومن أشهر هؤلاء المثبتين السمعاني حيث يقول في ترجمته لفَهم : (هم بطن من قيس من عيلان منهم أبو الحارث الليث بن سعد الفَهمي) (١) . فضلاً عن أن ابن يونس صاحب تاريخ مصر قد أشار

(١) السمعاني ــ الأنساب جــ٤ص٤١٣ .

إلى عروبة الليث فى معرض تعقيبه على القائلين بفارسية الليث وأنه من أصبهان حيث قال (وليس لما يقولونه ثبات عندنا) (١) .

ومن المعاصرين الذين يذهبون لهذا القول شيخ الأزهر الأسبق د . عبد الحليم محمود (٢) .

أما القائلون بفارسية الليث من المؤرخين القدامى فهم كثير ومن أشهرهم : ابن سعد ، وابن قتيبة ، والخطيب البغدادى ، وابن عساكر ، وابن خلكان .

وهم يعتمدون فى هذا على رواية تنسب إلى الليث وذويه وأنهم من أهل أصبهان وعلى هذا تكون أصول الليث مفترضة فى فهم وأن ديوانهم كان فيهم فنسبوا إليهم .

ومن المعاصرين الذين اعتمدوا هذا القول الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الأزهر الأسبق .

غير أن الراجح كما سبق هو عروبة الليث للأسباب التالية :

١ــ إن المؤرخين كافة يقرون بعروبة ابن عمه الوليد .

٢ــ إن الرواية التى يعتمد عليها القائلون بفارسيته فضلاً عن أنها لم تثبت كما ذكر ابن يونس فإنه يمكن توجيهها برغبته فى

---

(١) صبح الأعشى ــ نقلاً عن مصطفى عبد الرازق ، أعلام الإسلام ص٧٤ .

(٢) انظر كتابه الليث بن سعد .

الفرار من الولاية على عادة العلماء الأثبات فى النفور من الولايـات وانتحال شتى الأسباب التى تعفيهم من ذلك حتى إن ابن وهب تلميـذ الليث تظاهر بالجنون حتى لا يسند إليه منصب القضـاء ، فالروايـة جاءت إثر عرض الولاية عليه فرفضـها بـهذا الادعـاء ، يقـول الليث : (قال لى جعفر تلى لى مصر ؟ فقلت : لا يا أمير المؤمنيـن ، إنى أضعف من ذلك ، إنى رجل من الموالى قال : ما بـك ضعـف معى ولكن ضعفت نيتك فى العمل عن ذلك لى) [1] .

٣ـ ومما يؤيد أنه عربى صراح . جواب الليث لنافع مولى ابن عمر وقد سأله عن بلده وقومه ، وكذلك إجابته لابن لهيعة عند رؤيته لنـافع وسؤاله عنه على ما سيأتى .

أما حجة الشيخ مصطفى عبد الرازق فإنها ترجع لمصداقية ابـن سعد عنده . على أننا نلاحظ أن الشيخ مصطفى قد خالف ابن سـعد فى أمر قريب من هذا حيث لم يقبل التاريخ الذى حدده ابن سعد لوفاة الليث وهو عام خمس وستين ومائـة وارتضـى ـ محقًـا ـ قـول الجمهور القائلين بوفاته عام خمس وسبعين ومائة .

---

(١) تاريخ بغداد جـ١٣ ص٥ ، سير أعلام النبلاء جـ٨ ص١٤٦ .

٢ــ يسار أسرته :

الأمر الأول : الذى نحب أن نلم به فى هذه العجالة هـــو يســـار أسرته وغناها وأنها ذات جاه ونفوذ ويظهر لنا هذا الاستنتاج ويقـــوى من ملاحظته أمران :

الثانى : سخاء الليث وكرمه الذى اشتهر به فى الآفاق وصـــارت به الركبان حتى صار مضرب الأمثال ، إذ كان دخله يقدر بثمـــانين ألف درهم ، ومع هذا لم تجب عليه الزكاة لنفاده قبل أن يحول عليـــه الحول ، وهذا أمر سنفصله فى حينه ، وهذا السخاء قد ورثه عنه ابنه شعيب فلم لا يكون الأمر سجية فى تلك الأسرة وأنها تؤدى به شـــكر ما أنعم الله عليهم به من الأموال ؟! .

الثالث : ان ابن عمه الوليد بن رفاعة مع أنه كان واليـــا علـــى مصر ، فإنه كان ينفس على ابن عمه الليث حتى هدم بيتـــه ثـــلاث مرات ، والليث يعيد بناءه فلو لم يكن ذا بسطة لاختار بقعـــه أخـــرى يعيش فيها .

فإذا ما انتقلنا من المظنون إلى المقطوع أعنى من الحديث عـــن أسرته إلى الحديث عن نفسه : نستطيع أن نحدد أن السمات الأولـــى لشخصية الليث هى :

الخُلـق :

لعل مفتاح شخصية الليث هو الخلق فى أسـمى صـوره وفـى أروع مواقفه حتى كأنه يمثله للناس سلوكًا حيا ، وقـد بعـدت بينـه وبينهم الشقة فجاء الليث ليبين لهم الخلق واقعًـا يحسـونه بأيديـهم ويرونه بأبصارهم وسيرته ناطقة بذلك وشعاره الـذى جعلـه رأيـه وديدنه (تعلموا الحلم قبل العلم) .

ولقد أدرك القدماء والمحدثون هذا المعنى فى الليث فأبو نعيم من القدماء يصفه بأنه السرى السخى الملى الوفى ، لعلمه عقول ولمالـه بَذول [١] . وهو ما سبقه إليه ابن سعد فى طبقاتـه عندمـا وصفـه بالنبل فقال : (وكان سريًا من الرجال نبيلاً سخيًا لـه ضيافـة) [٢] أما من المعاصرين الذين تنبهوا لهذه السمة فيأتى على رأسهم الشـيخ مصطفى عبد الرازق الذى يقول : (والمتتبع لما يرويه الليـث مـن الأحاديث يجد فيها كثيرًا مما يتعلق بحسن السلوك ، وكمـال الخلـق إلى جانب ما يتعلق بأحكام الحدود والمعاملات) .

ثم يقول : وهذا الذى نهض به الليث من توجيه الحركة الفقهيـة إلى الناحية الخلقية الروحية كان من حقه أن يجعل الليث معدودًا فى

---

(١) حلية الأولياء جـ٧ ص٣١٨ .

(٢) الطبقات الكبرى جـ٧ .

أئمة الصوفية الذين نهضوا بـــالتصوف نهضتـــه الأولـــى ونهضـــة التصوف الأولى كانت أخلاقية [١].

السخـــاء :

يعد الليث فى جوده وسخائه نسيجًا وحده لم يقاربـــــه فيـــه أحـــد أو يدانيه ، الأمر الذى كاد يجعل منه أسطورة فى هذا الخلق ، فعرف به ونسب إليه بصورة لم تعهد فى الأثرياء من قبله أو من بعده حاشـــا أغنياء الصحابة رضوان الله عليهم كعثمان وابن عوف ومن أقرانـــــه عبد الله بن المبارك .

أما ما سوى هؤلاء فإن الليث يقف بالنسبة له متربعا على عرش الجود والسخاء ، ولعل فى إيراد الصور والمواقف التالية دليلاً لمـــــا نقول ومقنعًا لمن استراب . على أن من القواطع فى ذلك :

(١) أنه مع ثرائه الكبير وغناه الواسع يأتى عليه الحول وما فـــى ملكه نصاب فلا تجب عليه الزكاة .

فعن قتيبة بن سعيد قال : كان الليث بن سعد يستغل عشرين ألف دينار كل سنة وما وجب عليه زكاة قط [٢] وهو ما أكده ابنه شـــعيب

---

(١) الإمام الشافعى ص٨٧ .

(٢) الحلية ٣٢٢ .

حين يقول : يستغل أبى فى السنة ما بين عشرين ألف دينار وتـــأتى عليه السنة وعليه دين [1] .

كتابة الفنداق :

من المواقف التى تصور لنا سخاء الليث رغبته فى تســجيل أســماء الفقراء وذوى الحاجات ليجعل لهم فى ماله نصيبًا ثابتا علــى مــدار الأيام وتفصيل ذلك ما يرويه لنا سعيد حيث يقول : مــررت بــالليث ابن سعد فتنحنح لى فرجعت إليه فقال لى : يــا ســعيد ، خــذ هــذا الفنداق [2] فاكتب لى فيه من يلزم المســجد ممــن لا بضاعــة لــه ولا غلة ، فقال : فقلت : جزاك الله خيرًا يا أبا الحارث وأخذت منــه الفنداق ثم صرت إلى المنزل فلما وصلت أوقدت الســراج وكتبــت بسم الله الرحمن الرحيم ثم قلت : فلان بن فلان ، ثم بدرتنى نفســى فقلت : فلان بن فلان فإذا بينا أنا على ذلك إذا أتــانى آت ، فقــال : ها الله يا سعيد تأتى إلى قوم عاملوا الله سرا فتكشفهم لآدمى ؟ مــات الليث ومات شعيب بن الليث ، أليس مرجعهم إلى الله الذى عــاملوه ، قال : فقمت ولم أكتب شيئا ، فلما أصبحت أتيت الليث بن سعد فلمــا

(١) تاريخ دمشق ٢٥٥ .

(٢) الفنداق كلمة فارسية معناها " صحيفة الحساب " .

رآني تهلل وجهه فناولته الفنداق ففشره فأصاب فيه بسم الله الرحمن الرحيم ثم ذهب ينشره فقلت : ما فيه غير ما كتبت فقال لي : يا سعيد وما الخبر ؟ فأخبرته بصدق عما كان ، فصاح صيحة فاجتمع عليه الناس من الخلق فقالوا : يا أبا الحارث إلا خيرًا ! فقال : ليس إلا خير ثم أقبل على فقال : يا سعيد بينتها وحرمتها ، صدقت مات الليث أليس مرجعهم إلى الله ! ؟ [1] .

وعلى هذا المنوال حيث السخاء فيه ملكة يصدر عنها دونما تكلف أو ادعاء ، والكرم عنده سجية تظهر آثاره في الحضر وفي السفر مع القريب والبعيد مع الشريف والوضيع تسجل المواقف وتروى الآثار .

١ ــ فعن قتيبة بن سعيد قال : " قفلنا مع الليث بن سعد من الإسكندرية وكان معه ثلاث سفائن ، سفينة فيها مطبخه وسفينة فيها عياله وسفينة فيها أضيافه " .

٢ ــ وعن منصور بن عمار قال : " كنت عند الليث بن سعد يوما جالسا فأتته امرأة ومعها قدح فقالت : يا أبا الحارث إن زوجي يشتكي

(١) مختصر ابن عساكر ٢٥٤ــ٢٥٥ وانظر أيضًا تاريخ بغداد .

وقد نعت له العسل فقال : أذهبي إلى أبي قسيمة فقولي له ، يعطيك وطرًا ــ أي فرقا ــ وهو ١٢٠ رطلاً ــ من عسل ، فذهبت فلم ألبث أن جاء أبو قسيمة فسارّ بشئ لا أرى ما قال له ، فرفع رأسه إليه فقال : اذهب فأعطها وطرا ، إنها سألت بقدرها وأعطيناها بقدرنا .

٣ــ وفي قصة أخرى مشابهة أن امرأة جاءت إلى الليث بن سعد فقالت : إن لي أخا وصف له العسل فهب لي سكرجة [1] فقال : يا غلام املأ سكرجتها عسلا وأعطها زقا من عسل فقال : إنها سألت سكرجة فقال : سألت بقدرها وأعطيناها بقدرنا وحق لي ذلك أني امرؤ من أصبهان [2] .

٤ــ قال عبد الله بن صالح : صحبت الليث عشرين سنة لا يتغذى ولا يتعشى إلا مع الناس ، وكان لا يأكل إلا بلحم ، إلا أن يمرض [3] .

٥ــ صورة أخرى لكرم الليث وسخائه يرويها لنا أسد بن موسى فيقول : كان عبد الله بن علي يطلب بني أمية فيقتلهم ، فلما دخلت مصر دخلتها في هيئة رثة ، فدخلت على الليث بن سعد ، فلما

(١) سكرجة : الإناء الصغير .
(٢) حلية الأولياء ٣٢٠ ، وانظر تاريخ ابن عساكر ص٢٥٢ وتهذيب الكمال ص٤٤٧ .
(٣) ابن عساكر ص٢٥٢ .

فرغت من مجلسه خرجت فتبعني خادم له في دهليزه فقال : اجلس حتى أخرج إليك ، فجلست فلما خرج إليّ وأنا وحدي دفع إليّ صرة فيها مائة دينار ، فقال : يقول لك مولاي : أصلح بهذه النفقة بعض أمرك ، ولُمَّ من شعثك ، وكان في حوزتي هميان فيه ألف دينار فأخرجت الهميان فقلت : أنا عنها في غنى ، استأذن لي على الشيخ ، فاستأذن لي فدخلت فأخبرته بنسبي واعتذرت إليه من ردها ، وأخبرته بما مضى فقال : ادفعها إلى بعض أصحاب الحديث ممن تراه مستحقا لها ، فلم يزل بي حتى أخذتها ففرقتها على جماعة [1] .

وقال شعيب : خرجت مع أبي حاجا فقدم المدينة فبعث إليه مالك ابن أنس بطبق رطب قال فجعل على الطبق ألف دينار ورده إليه[2] .

وقدم منصور بن عمار على الليث فوصله بألف دينار واحترق بيت عبد الله بن لهيعة فوصله بألف دينار ، ووصل مالك بن أنس بألف دينار قال وكساني قميصًا مسندسا [3] .

---

(١) حلية الأولياء جـ٧ ص٣٢١ وانظر تاريخ دمشق عند ترجمة أسعد بن موسى .

(٢) ابن عساكر ٢٥٢ وانظر تهذيب الكمال ص ٤٤٦ .

(٣) المصدر السابق .

وكان الليث يطعم الناس فى الشتاء الهرانس بعسل النحل وسـمن البقر وفى الصيف سويق اللوز بالسكر [1] .

ونختم هذا الخلق بصورة هى أعز منالا مما سبقه وأبعد واقعـا ترينا من أى معدن جبل هذا الرجل وكيف تكون الأريحية فـى قمـة مثالها نعرضها هنا فقط دون تعليق فهى غنية عن كل تعليق .

اشترى قوم من الليث ثمرة فاستقلوها ــ أى طلبوا بعد مـدة أن يفسخوا البيع ــ فأقالهم ثم دعا بخريطة [2] فيها أكيـاس فـأمر لـهم بخمسين دينارا .

فقال له الحارث ابنه فى ذلك : أى سأله عن علة ذلك ــ فقـال : اللهم غفرانك إنهم قد أملوا فى ذلك أملا فأحببت أن أعوضـهم عـن أملهم بهذا [3] .

---

(١) المصدر نفسه ٢٥٢ والمقصود بالهرانس ــ الفطائر .

(٢) أى وعاء .

(٣) تهذيب الكمال ص٤٤٧ ، سير أعلام النبلاء جـ٨ ص١٤٩ .

الــــورع :

ومن صفات الليث وخلاله التى نعرض لها هنا ورعـــه وتقــواه ونستطيع أن نتعرف على مظاهر هذا الورع من خلال التـــأمل فـــى مواقفه التالية .

١ــ تعظيمه لحديث رسول الله ﷺ .

فقد كان من عادته أن يتطهر قبل الروايـــة والتحديـــث إجـــلالا لحديث رسول الله ــ ﷺ ــ وتعظيما لقدره وفى هـــذا يقــول كاتبـــه عبد الله بن صالح : كان مالك والليث لا يمسان الحديـــث إلا وهمـــا طاهران [١] .

٢ــ حرصه على لبس خفين وقت ازدحام المدينة بالحجاج

على ما مر ،الأمر الذى لفت انتباه شيخه ورأى أن فى ذلك مـــا قـــد يشق على الناس إن اتبعوه فيه وقال له : (إنك إمام منظور إليك) [٢] .

٣ــ وعندما يفصح الليث عن عدم سماعه عن عبيد الله بن جعفر وأنها مناولة وليست سماعا ، فإنه يعنى التحرج من التدليس المنبـــئ

(١) التمهيد جـ١ ص٨١ .

(٢) انظر سير أعلام النبلاء جـ٨ ص١٥٤ .

عن الورع والتدقيق فى طرق الرواية فيقول : (لم أسمع من عبيد الله بن جعفر وإنما هى مناولة) (١) .

٤ـ بل إن سائر مواقف الليث خاصة فى مجال الإنصاف والجود إنما تنبع من هذا الخلق .

ولقد عرف الأقدمون لأبى الحارث هذه الصفة حيث وصفه الخطيب البغدادى بالتدين والورع فقال : (وورعه وحسن إسلامه على حداثة سنه) أى أن هذا الخلق مما عرف به منذ صغره .

ومن هنا قال الشافعى : الليث أتبع للأثر من مالك على ما مر وكان هذا أحد الصفات التى وصفه بها ابن منجويه حين قال : (كان من سادات أهل زمانه فقها وورعا وعلما وفضلا وسخاء) (٢) .

ومن آراء الليث الدالة على ورعه قوله : (إذا جاء الاختلاف أخذنا فيه بالأحوط) (٣) .

أيضا من دلائل ورع الليث والبعد عن مظاهر السمعة قول الليث: كتبت من علم الزهرى كثيرا ـ يعنى عن غيره ـ قال : فأردت

---

(١) تهذيب الكمال ص٤٤٢ .
(٢) رجال صحيح مسلم جـ٢ ص١٥٩ .
(٣) جامع بيان العلم ص٣٩٥ .

أن أركب البريد إليه إلى الرصافة فخفـــت أن لا يكـــون ذلـــك لله ، فتركت ذلك [1] . ومعنى هذا الخبر أن الليـــث روى عـــن الزهـــرى مباشرة ، وروى عنه كذلك من خلال واسطة أو واسطتين ، وكـــــان يمكنه أن يذهب إليه فى محل إقامته حتى يكون سماعه منـــــه عـــالى الإسناد غير أنه لم يذهب إليه خشية أن يكون هذا الرحيـــل مقصـــودا به الإسناد العالى والفخر بذلك ، فتركه ورعا وتحرجا .

(١) انظر تاريخ بغداد ، مصدر سابق ، وكذا حلية الأولياء ، والرحمة الغيثية ص٢٣٩ .

الشغف بالمعرفة :

إن رجلا مثل الليث بن سعد على هذه الدرجة العالية من العلـــم والثقافة على اختلاف مجالاتها وتنوع ميادينها لابد أن يكون قد ولـــج هذا العالم ــ عالم المعرفة ــ بهمة عالية ونفس واعية ، وقلب يقـظ ، ورغبة صادقة فى النهل من معينه والارتواء بحياضه منذ يفاعتـــه . وغير ذلك لا يصح على العادة المتبعة ــ والعادة محكمة ــ وبديـــهى أن يبدأ الليث طريقه العلمى فى حياته المبكرة علـــى أيـــدى العلمـــاء القريبين منه والمجاورين له ، وأن يكون أول ما يعيه ويصغى إليـــه السمع هو القرآن الكريم ثم الحديث النبوى الشريف مع علـــوم الفقـــه واللغة وكلما زادت سنه كثر سماعه وعلت مروياتـــه وعمـــل علـــى التلقى من طبقة أخرى أبعد مزارا وأغزر علما .

وذلك كله على ما تقتضى به سنة تلقى العلم وتحصيله فى هـــذه العصور واتباعا لهذه السنة وعملا بها يتوجه الفتـــى لأداء فريضـــة الحج فى عام ثلاث عشرة ومائة ، أى فى العشرين من عمره ليشـــهد منافعه وهى هنا لا تخرج عن التزود بالعلم .

والالتقاء بعلماء الإسلام الوافدين على الحرمين والمقيمين بـــهما فينهل من علمهم ويعل ويرتشف من فيضهم لتنضج شخصيته العلميـــة ويستوى على سوقه . ومن الذين أخذ عنهم فى هذه الحجة ابن شهاب الزهرى وابن أبى مليكة وعطاء ابن أبى رباح وابن الزبـــير ونـــافع

وعمران بن أبى أنس [١] وفى هذا يروى الليث قائلا كنا بمكة وبـــها ابن شهاب وعطاء بن أبى رباح وابن أبى مليكة وعمرو بن شـــعيب وقتادة بن دعامة وعكرمة بن خالد وأيوب بن موسى وإسماعيل بـــن أبى أمية ، فكسفت الشمس بعد العصر فقـــاموا قياما يدعـــون فـــى المسجد فسألت أيوب بن موسى فقلت : ما يمنعهم أن يصلوا صـــلاة رسول الله ﷺ التى صلاها فى الكسوف ؟ فقال أيوب بـــن موســـى : نهى عن الصلاة بعد العصر والنهى يقطع الأمر [٢] .

وقد أتاح شغفه هذا بالعلم وتلقى شيوخه أن أدرك نيفا وخمســـين من التابعين على رأسهم عطاء بن أبى رباح والزهرى ، وهشام بـــن عروة ونافع مولى ابن عمر ونافع بن نعيم شيخ القراء فـــى عصـــره وغيرهم .

أما من تابعى التابعين ـــ وهم جيله ـــ فقد أدرك منهم ١٥٠ [٣] .

ولقد عرف قدر الليث فى المدينة على حداثة ســـنه ، فـــها هـــو ربيعة ويحيى بن سعيد يتزحزحان له فى المجلس ويعظمانه كما يقول الداوردى [٤] .

---

(١) انظر تهذيب الكمال ٤٤١ .

(٢) انظر تهذيب الكمال ٤٤٢ .

(٣) انظر فى ذلك حلية الأولياء ص٣٢٤ .

(٤) انظر تهذيب الكمال ٤٤٣/٤٤٤ .

بل إن يحيى بن سعيد الأنصارى ليعترف له بأنه إمـــام منظـــور إليه [1] .

ومن رحلاته التى طوّف بها ، العراق فرحل إليها مرات ومرات يدفعه الشوق للسماع من علمائها ، حيث أرسل يومًا إلى هشيم يســـأله دفع كتبه إليه لسماعها .

ويدفعه كذلك النصح للخلفاء فيلتقى بأبى جعفر المنصور الـــــذى يعرض عليه ولاية مصر على ما مرّ .

ويلتقى كذلك بالمهدى الذى يعجب بعقله وسمته فيوصى وزيـــره يعقوب بن داود بملازمة الليث والاستفادة منه [2] .

وموقفه مع هارون الرشيد وحيله فى التخلص مما سنعرض لــــه بالتفصيل .

ولم يكتف الليث بالرحلة للحرمين والعراق وإنما تـــابع الســـير لسائر أمصار العلم وأقطار المعرفة فرحل إلى دمشق وجالس ســـعيد ابن عبد العزيز [3] .

---

(١) انظر تهذيب الكمال ٤٤٣/٤٤٤ .
(٢) المصدر السابق ٤٤٤ .
(٣) مختصر تاريخ دمشق ٢٤٦ .

نبوغه العلمى :

وقد نشأ حريصًا على طلب العلم وتلقى شيوخه بالإجلال والتقدير فتيسرت له سبله ، ومهد له ذلك وتفتحت أمامه مغاليقه ودانت له قطوفه وألقى إليه بمقاليده حتى فاق شيوخه وساد أقرانه ، لعل فى هاتين الإشارتين ما يدلك على نبوغه وتفوقه .

(١) يقول الدراوردى لقد رأيت الليث بن سعد إذا أتى يحيى ابن سعيد وربيعة بن أبى عبد الرحمن وأنهما ليتزحزحان له زحزحة ويعظمانه (١) .

وفى رواية أخرى عن عبد العزيز بن محمد : رأيت الليث بن سعد عند ربيعة يناظرهم فى المسائل وقد فرفر أهل الحلقة (٢) .

(٢) فعن شرحبيل بن يزيد قال : أدركت الناس زمن هشام بن عبد الملك وهم متوافرون مثل يزيد بن أبى حبيب ، وعبد الله بن أبى جعفر ، وجعفر بن ربيعه والحارث بن يزيد وابن هبيرة ومن يقدم مصر من علماء أهل الشام للرباط ، والليث بن سعد يومئذ شاب ، وأنهم ليعرفون فضله ويقدمونه ويشار إليه (٣) . وزاد بعضهم على

---

(١) تهذيب الكمال : ٤٤٣ .

(٢) تاريخ بغداد ، السير ، مختصر تاريخ دمشق .

(٣) تاريخ دمشق ٢٤٩ ، سير أعلام النبلاء ١٤٦ ــ تاريخ بغداد .

حداثة سنه ، قال يحيى بن بكير : رأيت من رأيت فلم أرَ مثل الليث [١] . ولذا فقد توقع له شيوخه التقدم فى العلم كما تفرسوا فيه الإمامة فها هو شيخه يحيى بن سعيد الأنصارى يراه يومًا وقد فعل شيئًا من المباحات فيلفت انتباهه قائلاً له : (لا تفعل فإنك إمام منظور إليه) [٢] . وقيل لليث يوما وقد فاض علمه وتفتق ذهنه وأتى فى الفقه والحديث ما أثار دهشة الآخذين عنه ــ أمتع الله بك ــ إنا نسمع منك الحديث ليس فى كتبك ؟ فقال : أو كل ما فى صدرى فى كتبى !! لو كتبت ما فى صدرى ما وسعه هذا المركب [٣] . وقريب من هذا فى الدلالة على عظم شأن الليث وكمال عقله وتمام علمه ما تكلم به الليث فى مسألة فقال له رجل : يا أبا الحارث فى كتابك غير هذا ؟ قال : فى كتابى أو فى كتبنا ما إذا مرّ بنا هذبناه بعقولنا وألسنتنا [٤] .

(١) تهذيب الكمال ص٤٤٣ .

(٢) وفى هذا يقول الليث كنت بالمدينة مع موافاة الحجاج وهى كثيرة الروث فكنت ألبس خفين فإذا بلغت باب المسجد نزعت أحدهما ودخلت المسجد فقال يحيى بن سعيد لا تفعل .. (تهذيب الكمال ص٤٤٤ بتصرف) .

(٣) تاريخ دمشق ٢٤٩ ، تهذيب الكمال ص٤٤٣ .

(٤) حلية الأولياء جـ٧ ص٣١٨ .

الإنصاف والتقدير :

من الصفات التى جبل عليها الليث الإنصاف سواء أكــان ذلــك لمخالفيه أم كان لمريديه .

ومن صور هذه ذلك :

١ــ إنصاف مخالفيه فى الرأى :

وهو فى هذا المقام يمثل نمطـــا فريـــدا مـــن الرجـــال الذيـــن يبدون رأيهم ويجابهون مخالفيهم دون أن تحملهم هذه المخالفة علـــى التجنى عليهم أو النيل منهم بغير الحـــق ، بـــل تراهـــم متجرديـــن للموضوعية بعيدين عن الإسفاف وهكذا كان الليث عندما يختلف مـــع الآخرين .

فلـــم يكـــن للـــهوى عليـــه ســـبيل ، فـــهو يعطـــى كـــل ذى حق حقه ، فلا يتحيف على صاحبه وذلك شأن الكبار والأفـــذاذ مـــن العلماء ، ومن دلائل ذلك ما جاء فى خلافـــه مـــع قـــاضى مصـــر إسماعيل بن اليسع ، فقد اختلف معه فى أمر فقهى علـــى مـــا تقـــدم ، وكتب إلى الخليفة فى عزله ، غير أنه لم ينـــس أن يذكـــر محاســـن الرجـــل وخلالـــه الطيبـــة وأنـــه لـــم ينقـــم عليـــه فـــى مســـلك شـــخصى يشـــين صاحبـــه أو يـــزرى بـــه ، فقـــد جـــاء

فى كتابه للمهدى فى أمر عزله : (إنك وليت رجلاً يكيد [(١)] سُنَّة رسول الله ﷺ بين أظهرنا ، مع أنا ما علمنا عليه فى الدينار والدرهم إلا خيرًا [(٢)] . وفى رواية أخرى (إنا لم ننكر عليه شيئا غير أنه أحدث أحكاما لا نعرفها) .

فتراه هنا لم يسفه على الرجل أو ينال من أمانته وعفته ، كلا وإنما هو يذكر ما ينقم عليه فقط وكان يمكن له ألا يتعرض لذكر مزاياه . ولو فعل هذا ما لامه أحد ، لكن الإنصاف يأبى عليه إلا أن يذكر محاسن الرجل تماما كما ذكر ما يأخذه عليه .

٢ـ إنصافه لمالك :

الليث ومالك هما فرسا رهان ذاك العصر ، من العلماء من يقدم الليث وهم الكثرة ، ومنهم من يرى مالكا أحق بالتفضيل ـ ولهذا

---

(١) أغلب الظن أن اللفظ هنا على غير بابه ، وأن المقصود به المخالفة التى تدخل فى باب الاجتهاد الذى لا يأثم صاحبه ، فإجراء اللفظ على ظاهره بعيد ، وللسلف نظائر كثيرة فى ذلك فكثيرا ما يقول الصحابى : كذب فلان يقصد به الخطأ والذى يرجح ذلك ويقويه أن الليث نفسه قد روى عن يحيى بن سعيد قوله : أهل العلم أهل سعة ـ وما برح المفتون يختلفون ، فيحلل هذا ، ويحرم هذا وأن المسألة لترد على أحدهم كالجبل فإذا فتح لها بابها قال : ما أهون هذه (سير أعلام النبلاء جـ٥ ص٤٧٣ .

(٢) المقفى ـ مصدر سابق وانظر كذلك تاريخ ولاة مصر وقضاتها للكندى ص٢٨١ ط مؤسسة الكتب الثقافية .

موضعه من البحث ــ ومع هذا نرى الإمامين يثنى كل منهما على الآخر ويعرف كل واحد لصاحبه حقه ومنزلته ومكانته ونعرض بعض الصور التى يتبين منها إنصاف الليث لمالك ، ومن ذلك :

أ ــ يذكر القاضى عياض أن الليث بن سعد ذكر مالكا ، فرفع من قدره [1] .

ب ــ ولا يكتف الليث بإعلاء شأن مالك بين الناس والثناء عليه وإنما يقدم خطوة ترفع من شأن مالك عند ربه ، ذلك أن الليث كان يدعو لمالك فى صلاته [2] تقديرا لعلمه الذى يبثه فى الناس وحفظه لسنة رسول الله ﷺ وندع ما ذكره الليث لمالك فى رسالته إليه لموضعه من هذه الدراسة .

٣ــ إنصافه لشيوخه :

وكان الليث بن سعد كثير الإنصاف لأساتذته وشيوخه يثنى عليهم بالخير ويشيع فضلهم وهو ما يظهر جليّا فى رسالته لمالك .

٤ــ إنصافه لتلاميذه من نفسه :

ويبلغ إنصاف الليث الذروة حين ينتصف لتلميذه من نفسه

---

(١) ترتيب المدارك ص٦٢ .

(٢) المصدر السابق ٦٨ .

لكلمة قالها فيه ، وتفصيل ذلك أن ابن القاسم كان قد رحل إلى المدينة لملاقاة مالك والاستماع إليه وعندما عاد إلى مصر اجتمع حوله الناس فى المسجد ، ويسأل الليث عن هذا الجمع فيقال : إنه ابن القاسم فتند من فيه كلمة ينكر أن يكون لابن القاسم ما يجعل الناس يلتفون حوله فيقول : يأبى الله والمسلمون ، وينام الليث فيرى فى المنام هاتفا ينكر عليه ذلك فيستيقظ مرددا ما سمعه فى نومه مصححا لما سبق من قوله قائلا : لا يأبى الله ذلك ولا المسلمون .

وإلى هنا يمكن أن ينتهى الأمر ، فلقد عرف الليث خطأه ويقول فى نفسه عرفت فالزم .

لكن هيهات هيهات فللإنصاف شأن آخر . وقد سمع بعض الناس قوله فلابد أن يعطى الرجل حقه وأن يزف إليه بشراه ويعترف له بخطئه فيرتفعان هذا بإنصافه وذاك ببشرى الليث له . فيخرج إلى المسجد ويحدث الناس برؤياه [1] .

رقة الليث :

كان الليث بن سعد من العلماء العاملين الذين يتقلبون بين الخوف والرجاء فمع كثرة عبادته وذهاب صدقاته بكل ما يجبى إليه من

(1) انظر فى شأن الرؤية ترتيب المدارك ٢٥٤ .

ضياعه فلم تجب عليه زكاة قط إلاّ أنه كان رقيق القلب كثير الدمـــع يظهر ذلك جليًا مع منصور الواعظ الذى يـــروى عنـــه : (أن فـــى قصصه وكلامه شيئًا عجيبًا لم يقص على الناس مثله ، وقـــد أعطـــاه الليث مرة ألف دينار وقال له :حصن بهذه الحكمة التى أتاك الله [1] .

يروى منصور ما حدث بينه وبين الليث فيقول : " دخلت علـــى الليث بن سعد يومًا وعلى رأسه خادم يغمزه ، فخرج ، ثـــم ضـــرب الليث يده إلى مصلاة فاستخرج من تحته كيسًا فيه ألف دينـــار ، ثـــم رمى بها إلىّ ، ثم قال : يا أبا السرى ، لا تعلم بــــها ابنـــى فتـــهون عليه ، فبلغ ذلك شعيب بن الليث ، فوصله بألف دينـــار إلا دينـــاراً ، وقال : إنما نقصتك هذا الدينار لئلاّ أساوى الشيخ ــ يعنـــى : والـــده الليث ــ فى العطية .

قال منصور بن عمار : كان الليث بن سعد إذا تكلم بمصر أحـــد قفاه أى : أرسل إليه ــ فتكلمت فى المسجد الجـــامع يومًـــا . فـــإذا رجلان قد دخلا من باب المسجد ، فوقفا على الحلقة ، فقـــالا : مـــن المتكلم ؟ فأشاروا إلىّ ، فقالا : أجب أبا الحارث ، فقمت وأنا أقـــول :

(١) انظر حلية الأولياء لأبى نعيم جـ٧ ص٣١٩ وما بعدها .

واسوأتاه ألقى من .. ، فلما دخلت على الليث سلمت فقال لى : أنت المتكلم فى المسجد ؟ قلت : نعم ، رحمك الله ، فقال لى : إجلس وردد علىّ الكلام الذى تكلمت به ، وأخذت فى المجلس بعينه ، فرقّ الشيخ ، وبكى ، وسرى عنه ، وأخذت فى صفة الجنة والنار ، فبكى الشيخ حتى رحمته ، ثم قال لى بيده : اسكت فسكت ، فقال لى : ما اسمك ؟ قلت : منصور ، قال : ابن من ؟ قلت ابن عمار ، قال : أنت أبو السرى ؟ قلت : نعم ، قال : الحمد لله الذى لم يمتنى حتى رأيتك ، ثم قال : يا جارية فجاءت فوقفت بين يديه ، فقال لها : جيئينى بكيس كذا وكذا ، فجاءت بكيس فيه ألف دينار ، فقال : يا أبا السرى خذ هذا إليك وصن به هذا الكلام أن تقف به على أبواب السلاطين ، ولا تمدحن أحدا من المخلوقين بعد مدحتك لرب العالمين ، ولك فى كل سنة مثلها .

قلت رحمك الله ، إن الله قد أنعم إلىّ وأحسن ، قال : لا ترد علىّ شيئا أصلك به ، فقبضتها وخرجت ، قال : لا تبطئ علىّ . فلما كان يوم الجمعة الثانية أتيته ، فقال لى : أذكر شيئًا ، فأخذت فى مجلس لى ، فتكلمت ، فبكى الشيخ ، وكثر بكاؤه ، فلما أردت أن أقوم قال : انظر ما فى ثنى الوسادة ، فإذا خمسمائة دينار ، فقلت : رحمك الله ، عهدى بصلتك بالأمس ، فقال : لا ترد علىّ شيئًا

أصلك به ، متى أراك ؟ قلت الجمعة الداخلة ، قال لي : خذ في شئ أذكرك به ، فتكلمت ، فبكى الشيخ ، وكثر بكاؤه ، ثم قال لي : يا منصور ، انظر ما في ثني الوسادة ، فإذا ثلاثمائة دينار ، قال : أعدها للحج ، ثم قال : يا جارية ، هاتي ثياب الإحرام ، إحرام منصور ، فجاءت بأربعين ثوبًا فلما استكثره ، قال له الليث : أنت رجل كريم وسيصحبك قوم ، فأعطهم ، وقال للجارية التي تحمل الثياب معه : وهذه الجارية لك (١) .

ذكاء الليث وفطنته :

رزق الليث بن سعد من الفطنة والذكاء ما جعل الحكام يحمدون الله على أنه بين رعاياهم .

وفي هذا يذكر الليث قال : قال لي المنصور حين أردت أن أودعه قد سرني ما رأيت من سداد عقلك فأبقى الله في الرعية أمثالك (٢) .

---

(١) نفس المصدر .

(٢) تهذيب الكمال ٤٤١ .

ومن الطرائف الدالة على حضور بديهته مـــا حـــدث عندمـــا حـــج عام ثلاث عشرة ومائة ، وقابل نافعا مولـــى ابـــن عمـــر فاســـتأثر بالسماع منه دون أن يشرك معه رفقته رغبة فى الإسناد العالى الـــذى هو متعة العلماء ، ومناط فخرهم ومن خلاله يتوافد عليه الأكابر مـــن العلماء الذين لم يسعفهم الزمان بمثل هذا السماع . وتفصيل ذلك مـــا ذكره الليث حين قال : حججت أنا وابن لهيعة ، فلما صـــرت بمكـــة رأيت نافعًا فأقعدته فى دكان علاف ، قال : فمر بى ابن لهيعة فقـــال من هذا الذى رأيته معك ؟ قلت : مولى لنا ، فلما قدمنا مصر قلـــت : حدثنى نافع فوثب إلىَّ ابن لهيعة ، فقال : يا ســـبحان الله ! فقلـــت : ألم تر الأسود معى فى دكان العلاف بمكة ؟ فقال لى نعـــم فقلـــت : ذاك نافع (1) .

وعلى هذه السنة عامله ابن لهيعة فحج فى العام القـــابل يســـمع منه ، فوجد القدر قد استأثر به ولقى ربه . ثم جـــاءت ابـــن لهيعـــة الفرصة التى فاتته بموت نافع ، فعندما قدم الأعرج حامل حديث أبـــى هريرة كما كان نافع راوية لابن عمر ــ رضى الله عنهما ــ يريـــد

(1) مختصر تاريخ دمشق ٢٤٧ .

الإسكندرية ورآه ابن لهيعة فأخذه فمازال عنده يحدثه حتى اشترى له سفينة وسافر إلى الإسكندرية .

فقعد يحدث . فقال : حدثني الأعرج عن أبي هريرة فقلت : الأعرج متى رأيته ؟ ! فقال ابن لهيعة إن أردته هو بالإسكندرية فخرج الليث إلى الإسكندرية فوجده قد مات ، فذكر أنه صلى عليه [1] .

أيضًا من المواقف الدالة على فطنة الليث بن سعد ودقيق نظره : فتواه لهارون الرشيد بعدما عجز الفقهاء عن إيجاد مخرج ليمينه مع زوجه زبيدة ، وتفصيل ذلك أنه (جرى بين هارون الرشيد وبين ابنة عمه زبيدة مناظرة وملاماة في شئ من الأشياء ، فقال هارون لها في عرض كلامه : أنت طالق إن لم أكن من أهل الجنة ، ثم ندم واغتما جميعا بهذا اليمين ، ونزلت بهما مصيبة لموضع ابنة عمه منه ، فجمع الفقهاء وسألهم عن هذه اليمين فلم يجد منها مخرجا ، ثم كتب إلى سائر البلدان من عماله أن يحمل

---

(١) أنظر مختصر تاريخ دمشق جـ٢١ ص٢٤٦ بتصرف وانظر أيضا تهذيب الكمال ص٤٤٢ .

إليه الفقهاء من بلدانهم فلما اجتمعوا جلس لهم وأدخلوا عليه ، فأجابه الفقهاء بأجوبة مختلفة ، وكان إذ ذاك فيهم الليث بن سعد فيمن أشخص من مصر ، وهو جالس فى آخر المجلس لم يتكلم بشئ ، وهارون يراعى واحدًا واحدًا فقال له : يعنى هذا الشيخ فى آخر المجلس لم يتكلم بشئ .

فقال : قد سمع أمير المؤمنين قول الفقهاء وفيه مقنع فقال له : لو أردنا ذلك سمعنا من فقهائنا ولم نشخصكم من بلدانكم ، ولما أحضرت هذا المجلس ، فقال : يخلى أمير المؤمنين مجلسه إن أراد أن يسمع كلامى فى ذلك ، فانصرف من كان بمجلس أمير المؤمنين ، فقال : ليس بالحضرة إلا هذا الغلام [1] وليس عليك منه عين . فقال : يا أمير المؤمنين ، أتكلم على الأمان ؟ وعلى طرح التعمل والهيئة والطاعة لى من أمير المؤمنين فى جميع ما آمر به ؟ قال : لك ذلك ، قال : يدعو أمير المؤمنين بمصحف جامع ، فأمر به فأحضر ، فقال : يأخذه أمير المؤمنين فيتصفحه حتى وصل إلى سورة الرحمن فقال : يقرأ أمير المؤمنين ، فقرأ ، فلما بلغ ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ قال : قف يا أمير المؤمنين

---

(١) المراد بالغلام هنا خادم الرشيد .

هنا ، فوقف .. فقــــال : يقــول أمــير المؤمنيــن : والله .. فاشــتد على الرشيد .. فقال له هارون : ما هذا ؟ قال : يا أمـــير المؤمنيــن على هذا وقع الشرط فنكس أمير المؤمنين رأسه ،وكانت زبيدة فـــي سبل عليه ستر قريب من المجلس تسمع الخطاب ثم رفـــع هـــارون رأسه فقال : والله الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم إلـــى أن بلـــغ إلى آخر اليمين ثم قال : إنك يا أمير المؤمنيـــن تخـــاف مقـــام الله ، قال هارون : إنى أخاف مقام الله قال : يا أمـــير المؤمنيـــن ، فـــهى جنتان وليست بجنة واحدة كما ذكر الله تعالى فـــي كتابـــه ، فســـمع التصفيق والفرح من خلف الستر ، وقال هارون : أحسنت والله ، بـــارك الله فيك ، ثم أمر بالجوائز والخلع لليث ابن سعد ثم قـــال هـــارون : يا شيخ اختر ما شئت وسل ما شئت تُجب فيه فقال يا أمير المؤمنين ، وهذا الخادم الواقف على رأسك ؟ فقـــال : وهـــذا الخـــادم فقـــال : يا أمير المؤمنين ، والضياع التى لك بمصر ولابنـــة عمـــك أكـــون عليها وتسلم إلىّ لأنظر فى أمورها قال : بل نقطعك إقطاعـــا فقـــال يا أمير المؤمنين : ما أريد من هذا شيئا ، بل تكون فى يدى أمـــير المؤمنين فلا يجرى علىّ حيف العمال وأعز بذلك ، قال : لك ذلـــك ، وأمر أن يكتب له ويسجل بما قال ، وخرج مـــن بيـــن يـــدى أمـــير المؤمنين بجمع الجوائز والخلع والخادم ، وأمرت زبيدة له بضعـــف

ما أمر به الرشيد فحمل إليه واستأذن فى الرجوع إلى مصر فحمل مكرما [(١)] .

ولا غرو وهذا مبلغه من الذكاء أن يعجب بأبى حنيفة لدقيق نظره وحدة ذكائه وفطنته فى إيجاد المخارج حيث يقول : كنت أسمع بذكر أبى حنيفة ، وأتمنى أن أراه ، فكنت يوما فى المسجد الحرام فرأيت حلقة عليها الناس منتصفين ، فأقبلت نحوها ، فرأيت رجلا من أهل خراسان أتى أبا حنيفة فقال : إنى رجل من أهل خراسان كثير المال وإن لى ابنا ليس بالمحمود وليس لى ولد غيره ، قال الليث : فو الله ما أعجبنى قوله بأكثر ما أعجبنى سرعة جوابه والقصة المشار إليها : إن الرجل قال : يا أبا حنيفة ، قصدتك أسألك عن أمر قد أهمنى وأعجزنى قال : ما هو ؟ قال : لى ولد ليس لى ولد غيره فإن زوجته طلق ، وأن سريته أعتق ، وقد عجزت عن هذا فهل من حيلة ؟ فقال له : للوقت اشتر الجارية التى يرضاها هو لنفسك ثم زوجها منه فإن طلق رجعت مملوكتك إليك

---

(١) انظر الليث بن سعد د. عبد الحليم محمود بتصرف ص٤٠ـ٤٣ ، وكذلك أعلام الإسلام (الشافعى) د . ممصطفى عبد الرازق .

وإن أعتق أعتق ما لا يملك به [1] .

وفى صدد لقاء الليث بأبى حنيفة روى أن الليث لقى مالكا بالمدينة فقال له : إنى أراك تمسح العرق عن جبينك . قال عرقت مع أبى حنيفة ، إنه لفقيه يا مصرى يقول الليث ثم لقيت أبا حنيفة فقلت : ما أحسن قول ذلك الرجل فيك ، فقال والله ما رأيت أسرع منه بجواب صادق وزهد تام [2] .

فراسة الليث وحسن تقديره للأمور :

ومن صفات الليث التى عرف بها فراسته ، ومن المواقف التى بينت هذه الصفة وأظهرتها موقفه من سكان قبرص الذين مالأوا الروم ونكثوا عهدهم فكتب إليه وإلى غيره من الفقهاء عبد الملك ابن صالح الذى كان واليا على الثغور يسألهم عن حكم الشرع فى إجلائهم عنها لأنهم قد نقضوا عهدهم [3] .

---

(١) الليث . د . عبد الحليم محمود ص ٤٤ .

(٢) ترتيب المدارك جـ١ ص٦٢ ـ٦٣ .

(٣) كان من كتب إليهم عبد الملك ، الإمام مالك ، وسفيان بن عيينة ، وغيرهما وكان معظم المجيبين يميل إلى إبقاء الأمر وعدم إجلائهم .

فكتب إليه الليث رسالة يبين فيها الحكم الشرعى فــى إجلائــهم عارضا بعض المعانى والأسرار الفقهية التــى ربمــا تخفــى علــى الكثير ، وليت الوالى أخذ بنصيحة فقيهنا ربما لتغــير الوضــع فــى البحر المتوسط كله ، وقد أثبتت الأيام فراسة الليث وأظــهرت خطــأ من عارضه .

يقول الليث فى رسالته :

(إن أهل قبرس ــ قبرص ــ لم نزل نتهمــهم بــالغش لأهــل الإسلام والمناصحة للروم ، وقد قال الله تبــارك وتعــالى :﴿ **وإمــا تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء** ﴾ [1] . ولم يقل لا تنبــذ إليهم حتى تستيقن خيانتهم ، وإنى أرى أن تنبذ إليهم ثم ينظروا ســنة يأتمرون فمن أحب اللحاق منهم ببلاد المسلمين على أن يكــون ذمــة يؤدى الخراج فعل .

ومن أراد أن ينتمى إلى الروم فعل ، ومن أراد أن يقيم بقــبرص على الحرب أقام ، فقاتلهم المسلمون كما يقاتلون عدوهــم فــإن فــى

---

(١) الأنفال : ٥٨ .

إنظار سنة قطعا لحجتهم ووفاء بعهدهم [1] .

تواضع الليث

ومع هذا الثراء الواسع الذى سمح لأبى الحارث بحياة منعمة له ولسائر ضيوفه ومعارفه وقاصديه وهم كثير .

ومع هذه المكانة الكبيرة تجاه الولاة والقضاة حتى إنه كان يعزل من لم تعجبه طريقته .

ومع هذا وذاك فإن الليث لم تبطره النعمة ولم يشمخ بأنفه بل كان لين الجانب دمث الأخلاق متواضعًا للعلم وأهله وإن كان فى غير ذلك ذا نفس أبيّة .

أخذ ذات مرة بركاب ابن شهاب الزهرى فلما قيل له فى ذلك : أجاب بأن دافعه هو إجلال العلماء وتقدير العلم . أما ما سوى ذلك فلا ، بل إنه ليخبر أنه ما أخذ بركاب أبيه [2] .

---

(1) الأموال لأبى عبيدة ص٧٧ ، وكذا الأموال لابن زنجويه جـ١ص٤٢٥ .
(2) انظر فى ذلك مختصر دمشق جـ٢١ ص٢٤٨ ، والرحمة الغيثية جـ٢١ .

وتكرر هذا الفعل منه لشيخه ربيعة فقد أخذ كذلك بركابه فقـــال له ربيعة : يا ليث خدمك العلم .

وقد فسر يحيى مراد ربيعة بأن يبلغ الليث مبلغ الكرامة .

وقد أعاد الليث هذا الدعاء ليحيى عندما أمسك بركاب الليث (١) .

وقد مر بنا فى إنصاف الليث تلميذه ابن القاسم ما يعـــد هضمــا للنفس .

صلابته فى الحق :

من صفات الليث وخصائصه التى عرف بها وحفظت له إعـــلاء الحق وتمسكه به والعمل على إنفاذه .

١ــ ومن أمثلة ذلك ما حدث بينه وبين ابن عمه الوليد بن رفاعة أمير مصر ، فكلما هدم بيت الليث أعاد الليث بناءه حتـــى اســتكان الأمير وعرف لليث قدره ومكانته فأوصى له .

---

(١) ترتيب المدارك .

أيضًا من الأمثلة الدالة على ذلك :

ما حدث بينه وبين قاضى مصر وإسماعيل بن اليسع .

وكان يميل إلى مذهب أبى حنيفة ولم يكن يرى جواز الوقف فجــــاءه الليث مرة يحاوره فى ذلك ، والقاضى يعرف قدره ومكانته إلا أنـــه أصر على رأيه فى عدم إنفاذ الوقف ، فما كـــان مـــن الليــث إلا أن اشتكاه للخليفة طالبا عزله .

ويصور لنا المقريزى هذه الواقعة فيقول (جـــاء الليــث إلـــى إسماعيل بن اليسع فجلس بين يديه ، فدفعه إسماعيل ، فقال إنما جئت مخاصمًا لك .

قال : فى ماذا ؟

قال فـــى إبطـــالك أحبـــاس المسلمين ، قـــد حبــس رســـول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير . فمن بقـــى بعـــد هؤلاء ؟ وقام وكتب إلى المهدى فورد الكتاب بعزله ، فأتـــاه الليــث وجلس إلى جنبه وقال للقـــارئ : اقـــرأ كتـــاب أمـــير المؤمنيـــن ! فقال له إسماعيل : يا أبا الحارث وما كنت تصنع بهذا ؟ أما والله لولا أمر السلطان ، ثم لو أمرتنى بالخروج لخرجت ، فقال له الليث : إنك ما علمت لعفيف عن أموال الناس [1] .

---

(١) المقفى جـ٢ ص١١٤ وانظر كذلك تاريخ ولاة مصر وتسمية قضاتها ٢٨١ .

٢ـ صورة أخرى لصلابة الليث فى الحـــق وتصحيحــه لمــا اعوج هى أن صاحب البريد أراد أن يتدخل فى خصومة لـــه فنـــهره القاضى فأشاع صاحب الـــبريد لـــدى الخليفـــة مقالـــة ســـوء عـــن القاضى زورا وبهتانا . فما أن سمع الليث بالقصة حتى خـــرج إلـــى الوالى ومعه ابن لهيعة وعاصم بن العلاء ينصفون القاضى ويثنـــون عليه ويبرءونه [1] .

مكانة الليث العلمية وثناء العلماء عليه :

تبوأ الليث بن سعد من العلـــم ذروتـــه الســـامقة التـــى قـــل أن يدانيه فيها أحد ، اللهم إلا من كان على شاكلته من العلمـــاء الأفـــذاذ والفقهاء الأعلام .

وقد شهد له بهذه المكانة أساطين الأئمة وكفى بذلك دلالة علـــى علو قدره وعظم شأنه ، فلا يعرف الفضل إلا أهله، ومع هذه المنزلة ومع هذا الثناء من كبار رجالات الفقه والحديث ، فإن تراث الرجـــل

---

(١) تاريخ ولاة مصر ص٢٩٠ بتصرف .

العلمي لم يتح له حتى الآن من يحدد معالمه ويفصح عــن اتجاهاتــه ويكشف عن أصوله بالقدر الذى ينبئ عن جلالة الشيخ وإمامته . وإذا كان قومه الأولون ضيعوه فإنه ما زال إلى اليوم مـــهضومًا حقــه ، مجهولاً علمه ، فلم يكتب عنه إلا شذرات هنا وهناك دون أن يعمـــد لآرائه الفقهية ــ وما أكثرها ــ بالدراسة والتحليل والمقارنة .

ولا ندعى أننا فى هذه العجالة قادرون على تحقيق ذلــك وإنمــا الذى نرمى إليه الآن هو بيان إمامة الشيخ مـــن خـــلال ســرد آراء العلماء وبيان تقديرهم له وإعجابهم به آملين أن يقيـــض الله لــتراث الشيخ من يظهره ويكشف عن سماته وخصائصه .

وقبل أن نسوق بعض آيات الثناء والتقدير هذه نحــب أن نشــير مجرد إشارات فقط لعلو همته ونباهة قدره وسعة ثقافته وتنوعها ومن ذلك قول : أشهب بن عبد العزيز :

كان لليث كل يوم أربعة مجالس يجلس فيها : أما أولها فيجلـــس لنائب السلطان فى نوائبه وحوائجه ، وكان الليث يغشاه السلطان فــإذا أنكر من القاضى أمرا أو من السلطان كتب إلى أمير المؤمنين فيأتيــه القرار ، ويجلس لأصحاب الحديث وكان يقـــول : نجّــو أصحــاب الحوانيت فإن قلوبهم معلقة بأسواقهم ، ويجلس للمسائل يغشاه النـــاس

فيسألونه ، ويجلس لحوائج الناس ، لا يسأله أحد من النـــاس فـيرده كبرت حاجته أو صغرت [١] .

قيل لليث : أمتع الله بك ، إنا نسمع فيك الحديث ليس فى كتبـك ! فقال : "أوَكُلُّ ما فى صدرى فى كتبى ؟ لو كتبت مـــا فـــى صـــدرى ما وسعه هذا المركب [٢] .

ثناء الإمام مالك :

ونبدأ بالإمام مالك لاعتبارات عديدة منها : أنهما صنـــوان فـــى العلم وكلاهما إمام هدى ومنار رشد وعاصم من ضياع ، ومن هنـــا تأتى أهمية شهادة مالك لأبى الحارث وقد تعدد ثناء مالك على الليـــث بحسب الأحوال والمناسبات ونقتطف هنا بعضا منه :

١ــ ما جاء فى رسالة مالك لليث والتى يقول فيها : " وأنت فـــى أمانتك وفضلك ومنزلتك من أهل بلدك وحاجـــة مـــن قبلـــك إليـــك واعتمادهم على ما جاءهم منك بحقيق " [٣] .

٢ــ بل "إن الإمام مالك ليخص الليث بوصف ينبئ عن جلالة قـــدره وعلو كعبه دراية وخلقا وورعا وسلوكا أعنـــى قولـــه : (أخـــبرنى

(١) تاريخ دمشق ٢٥٢ .
(٢) تاريخ دمشق ٢٤٩ ، وانظر أيضًا تهذيب الكمال ص٤٤٣ .
(٣) انظر نص هذه الرسالة فى مكانها من هذ الدراسة .

من أرضى من أهل العلم) حيث يفصح ابن وهب تلميذ الإمامين مالك والليث ، بأن مقصود مالك هو الليث بن سعد فيقول : (كل ما كان فى كتب مالك أخبرنى من أرضى من أهل العلم ، فهو الليث ابن سعد) (١) .

٣ــ وذكر أبو نعيم عن أبى صالح قال : (كنا على باب مالك ابن أنس فامتنع علينا فقلنا : ليس بشبه صاحبنا فقال : فسمع مالك كلامنا فأدخلنا عليه فقال لنا ، من صاحبكم ؟ قلنا : الليث بن سعد قال : شبهتمونى برجل كتبنا إليه فى قليل عصفر نصبغ به ثياب صبياننا فأنفذ إلينا فأصبغنا به ثيابنا وثياب صبياننا وثياب جيراننا وبعنا الفضلة بألف دينار (٢) .

٤ــ وعن يحيى بن بكير عن ابن وهب قال : دخلت على مالك ابن أنس فسألنى عن الليث بن سعد فقال لى : (كيف هو ؟ قلت بخير . قال كيف صدقه ؟ قلت يا أبا عبد الله إنه لصدوق ، قال : أما إنه فعل متع بسمعه وبصره (٣) .

---

(١) تاريخ بغداد جـ٦ ــ سير أعلام النبلاء ١٤٧ ، تهذيب تاريخ دمشق ٢٥٠ .
(٢) حلية الأولياء جـ ص٣١٩ .
(٣) تهذيب الكمال ٤٤١ .

بين الإمامين الليث ومالك :

أسلفنا أن كلا من الليث ومالك إمام هدى ومنار رشد ، وفى هـذا يقول تلميذهما ابن وهب : (لولا الليث ومالك لضللنا) وفى تعبـير آخر لولا مالك والليث هلكت ، كنت أظن أن كل ما جاء عن النبى ﷺ يفعل به [1] .

وقد تكرر هذا القول من ابن وهب حتى أن أبا جعفـر الأيلـى يقول : سمعت ابن وهب ما لا أحصى يقول : لـولا أن الله أنقذنـى بمالك والليث لضللت) ، ولم يكن ابن وهب بدعا فى تقدير وتعظيـم شيخيه بل شاركه فى هذا سائر العلماء والفقهاء وعلى رأسهم الشافعى الذى قال فيهما وفى صنوهما : (العلم يدور على ثلاثة مالك بن أنس وسفيان بن عيينة والليث بن سعد) [2] .

وقد تعددت آراء الفقهاء فى المقدم منهما وإن ثبتت الغلبة لأبـى الحارث الليث بن سعد .

وفى هذا المجال يقول الإمام الشافعى : (الليث أفقه من مـالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به) [3] وفى تعبير آخر : (ضيعه قومه) .

---

(1) تاريخ بغداد ص١٣ ، التمهيد جـ١ ص٦٢ ، ترتيب المدارك جـ١ ص٦٢ـ٦٦ ، وتهذيب الكمال ص٤٤٤ .

(2) تذكرة الحفاظ ٢٢٤ ، شذرات الذهب جـ١ ص٢٨٥ .

(3) التمهيد ٦٢ ، وكذا ترتيب المدارك .

أى أن تلاميذه لم ينشروا آراءه ولم يعطوها حقها مـــن النظـــر والتأمل ومقارنتها بآراء الفقهاء السابقين له واللاحقين عليه ، ولم يكن هذا القول من الشافعى وليد إعجاب وقتى سرعان ما يزول وإنما كان قولا ناشئا عن دراية واسعة بأقدار الرجال ولذا (كان يتأسف علـــى فواته) [1] أى أنه كان يتمنى لو لقى الليث وأخذ عنه وتلقـــى منـــه . ولم يكن الشافعى وحده الذى يرى تقديم الليث على مالك وإنما هنـــاك غيره من الكثير من العلماء والفقهاء ينحون نحوه ويرون رأيه ، فـــها هو ذا يحيى بن بكير يكرر عبارة الشافعى فيقول : (الليث أفقه مـــن مالك ولكن الحظوة لمالك) [2] ، بل إن سعيد بن أيوب ليخطو خطـوة أخرى فى تقديم الليث فيقول : (لو أن مالكًا والليث اجتمعـــا لكـــان مالك عند الليث أبكم ، ولباع الليث مالكا فيمن يزيد) [3] .

ولا يعنى هذا القول من ســـعيد انتقـــاص مـــالك بحـــال مـــن الأحوال ، وإنما هى أقدار ومنازل .

ويقول ابن وهب : وكان يقرأ مســـائل الليـــث فمـــرت مســـألة فاستحسنوها فقال رجل : ما أحسن ما قال الليث كأنه كان يسمع مالكًا

---

(1) انظر المصدرين السابقين وانظر كذلك النجوم الزاهرة جـ٢ ص٨٢ .

(2) الجرح والتعديل لأبى حاتم ص١٧٩ ، وابن عساكر ٢٤٩ .

(3) انظر تاريخ بغداد وتذكرة الحفاظ ــ مرجعين سابقين ــ .

يجيب ، فقال ابن وهب : بل لعل مالكًا كان يسمع الليث يجيب فيجيب . والله الذى لا إله إلا هو ما رأينا أحدًا قط أفقه من الليث [1] . هذا هو موقف العلماء من المقارنة بينهما .

وإن كان هناك من يفضل مالكًا ويقدمه على الليث ، ومن أشهر هؤلاء العلماء يحيى بن معين ، الذى كان يقول : الليث عندى أرفع من محمد بن إسحاق . فلما سئل عن المقارنة بين مالك والليث فضل مالكًا [2] .

وإذا ما انتهينا من هذه المقارنة بين الإمامين الجليلين فإننا نعاود الحديث عن ثناء الفقهاء والعلماء على الليث بن سعد .

ولعل أول هذه الشهادات إثباتا ما جاء عن الشافعى من تأسف على عدم رؤيته لأبى الحارث وفى ذلك يقول : (ما فاتنى أحد فأسفت عليه ما أسفت على الليث بن سعد وابن أبى ذئب) [3] .

---

(1) الرحمة الغيثية ص٣١ .

(2) انظر تاريخ بغداد ص١٢ وانظر أيضًا التمهيد جـ١ ص٧٣ وترتيب المدارك ص٦٣٤.

(3) وعبارة الذهبى فى التذكرة (كان الشافعى يتأسف على فواته..) وانظر تهذيب الكمال ص٤٤١ .

ويروى أن الشافعي وقف على قبر الليث وقال : (لله درك يا إمام لقد حزت أربع خصال لم يكملن لعالم : العلم والعمل والزهد والكرم) [1] .

ولم يتخلف الإمام أحمد وهو من هو عن الثناء على الليث فقال : (ما في المصريين أثبت من الليث بن سعد ، لا عمرو بن الحارث ولا أحد) [2] ، ويقول فيه أيضًا : (الليث بن سعد منير العلم صحيح الحديث [3] . فإذا ما أتينا لأحمد بن صالح الذي يصوغ شهادته من خلال تعبير مُوحٍ بالإعجاب مفعم بالتقدير قائلاً : (الليث بن سعد إمام قد أوجب الله علينا حقه) [4] .

أما يحيى بن بكير فيرسم ملامح شخصيته العلمية وقسماتها وإن كان ذلك بصورة موجزة إلا أنها شافية فيقول : (ما رأيت أكمل من الليث بن سعد ، كان فقيه البدن ، عربي اللسان ، يحسن القرآن والنحو ، ويحفظ الحديث والشعر ، حسن المذاكرة ..) [5] .

يقول الراوي وما زال يذكر خصالا جميلة حتى عدَّ عشرا .

---

(١) أعلام الإسلام ــ الشافعي ص٨٤ للشيخ مصطفى عبد الرازق .

(٣،٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم جـ٧ ص١٧٩ وانظر أيضًا تذكرة الحفاظ للذهبي جـ١ص٢٢٤ ، وتهذيب الكمال ٤٤٠.

(٤) سير أعلام النبلاء جـ٧ ص١٥٥ .

(٥) تاريخ دمشق ٢٤٩ ، تاريخ بغداد ص٦ ، تذكرة الحفاظ ، شذرات الذهب ٢٨٥ ، تذكرة الحفاظ للسيوطي ص٩٥ ، تهذيب الكمال ص٤٤٣ .

ثم يؤكد يحيى بن بكير ما بدأ به حديثه فيقول : (لم أرَ مثلـــه) والخلاصة أن الثناء على الليث وتقديره والإشادة بفضله قاسم مشترك بين العلماء جميعًا ولعل فى هذه التوقيعات التى نثبتها ما يغنى عـــن الإطالة .

ذكر ابن سعد فى طبقاته (أنه كـــان ثقـــة ، كثـــير الحديـــث ، صحيحه ، وكان قد اشتغل بالفتوى فى زمانه بمصر ، وكـــان ســـريا من الرجال نبيلا ، سخيا له ضيافة) [1] .

ويقول على بن المدينى : الليث بن سعد ثبت [2] .

وسئل أبو زرعة عن الليث بن سعد فقال : صدوق ، قيل لـــه : أيحتج بحديثه ؟ قال : أى لعمرى [3] .

ويقول السيوطى : (الليث بن سعد أحد الأعلام) [4] .

ويصفه الذهبى بأنه أحد الأعلام والأئمة الأثبات ويقول أيضـــا : وهو إمام حجة ثقة بلا نزاع) [5] .

---

(١) طبقات ابن سعد جـ٧ ص٥١٧ .

(٢،٣) الجرح والتعديل لأبى حاتم جـ٧ ص١٧٩ .

(٤) طبقات الحفاظ ص٩٥ .

(٥) ميزان الاعتدال جـ٤ ص٣٤٣ .

ويقول أيضًا : (شيخ الديار المصرية وعالمها ورئيسها) [1] .

وعلى هذا المنوال تستمر شهادات الأعلام فيقول :

١ــ ابن أبى مريم : (ما رأيت أحدًا من خلق الله أفضـــل مـــن الليث ، وما كانت خصلة يتقرب بها إلى الله إلا كانت تلك الخصلـــة فى الليث) [2] .

٢ــ أبو يعلى الخليلى : (كان إمام وقته بلا مواضعة) [3] .

٣ــ ابن حبّان : (كان من سادات أهل زمانه فقها وعلمًا وحفظا وفضلاً وكرمًا) [4] .

٤ــ النووى : (أجمعوا على جلالته وأمانته وعلو مرتبته فـــى الفقه والحديث) [5] .

٥ــ ويقول ابن تغرى بردى فى نجومه الزاهرة : (أحد الأعـــلام وشيخ إقليم مصر وعالمه) .

ونختم هذا العجالة بقول اليافعى فيه :

(١،٢،٣) الرحمة الغيثية بالترجمة الليثية بن حجى ص٢٦ .

(٤) الثقات جــ١٧٩ .

(٥) تهذيب الأسماء واللغات جــ٢ ص٧٤ .

شيخ الديار المصرية وعالمها ، سامى المجـد والعـلاء بـالعلم والسخاء الذى سما بها أبو الحـارث ذو المجـد والسـعد المشـهور بالليث [1] .

مكانته عند الحكام :

عرف الأمراء مكانة الليث فأولوه قدره وحفظـوا لـه منزلتـه وعرضوا عليه الولاية مرارا وتكرارا فأبى ، وآثر الاكتفاء بـالنصح والتوجيه لمن بيدهم الأمر حتى إذا ما أعيته الحيلة فى أمرهم نصـح بعزلهم دون تزيد أو إجحاف . ودلائل ذلك :

١ــ قول ابن تغرى بردى : (وكان كبـير الديـار المصريـة ورئيسها وأمير من بها فى عصره ، بحيث أن القاضى والنائب مـن تحت أمره ومشورته) [2] .

٢ــ وقد فصل الخطيب البغدادى أمر هذه الرئاسة فنقـل عـن أشهب بن عبد العزيز أنه كان لليث بن سعد فى كـل يـوم أربعـة مجالس يجلس فيها ، أما أولها فيجلس لنائب السـلطان فـى نوائبـه وحوائجه وكان الليث يغشاه السلطان فإذا أنكر مـن القـاضى أمـرًا

(١) مرآة الجنان جـ١ ص٣٨٣ .
(٢) النجوم الزاهرة جـ٢ ص٨١ .

أو من السلطان كتب إلى أمير المؤمنيـــن فيأتيـــه العـــزل [١] علـــى ما قرره .

٢ــ ويقول الذهبى : إن نائب مصر وقاضيها من تحت أوامـــره وإذا رابه من أحد منهم أمر كاتب فيه الخليفة فيعزله [٢] .

ومن الدلائل على مكانة الليث وعلوهـــا حتـــى عنـــد الخلفـــاء ما ذكره يعقوب بن داود وزير المهدى ، حيث قال لى أمير المؤمنيـــن لما قدم الليث بن سعد العراق : إلزم هذا الشيخ فقد ثبت عنـــد أمـــير المؤمنين أنه لم يبق أحد أعلم بما حمل منه [٣] .

ونختم هذا الثناء بقول الذهبى : كان الليث ــ رحمه الله ــ فقيــه مصر ومحدثها ورئيسها ومن يُفتخر بوجوده فى الإقليم [٤] .

شيوخ الليث بن سعد :

تتلمذ الليث على يد شيوخ عصره من التابعين الذين أدركهم وقــد بلغ عددهم خمسين ومائة ومن أشهرهم :

---

(١) تاريخ بغداد ص٩ وتاريخ دمشق ٢٥١ .
(٢) سير أعلام النبلاء جـــ١ ص٢٢٤ .
(٣) تهذيب الكمال : ٤٤٤ .
(٤) سير أعلام النبلاء ١٤٣.

١ــ عطاء بن أبى رباح .

٢ــ ابن أبى مليكة .

٣ــ نافع مولى ابن عمر .

٤ــ ابن شهاب الزهرى .

٥ــ يزيد بن أبى حبيب .

٦ــ جعفر بن ربيعة .

٧ــ بكير بن عبد الله الأشبح .

٨ــ هشام بن عروة .

٩ــ يحيى بن سعيد الأنصارى .

١٠ــ خير بن نعيم قاضى مصر ، وغيرهم كثير .

وقد كان شيوخه هؤلاء يعرفون قدره ويعظمونه ، وقد مر بنا فى الحديث عن مكانته العلمية وثناء العلماء عليه ما يـــدل علـــى هـــذا التعظيم والتقدير .

ومن شيوخه الذين كان لهم أثر بارز فى حياة الليث :ــ

١ــ الزهــرى (*)

محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى . نشأ منذ صغــره محبًا للعلم حريصًا على الطلب حتـــى فـــاق أقرانـــه وســـاد أهــل

(*) انظر ترجمته فى المصادر التالية .

زمانه ، ويعدّ أول من دوّن الحديث وأقوال الصحابة ــ رضــي الله عنهم .

وكان أحد الأئمة الذين جمعوا الحديث رواية ودراية ، كما كــان مجتهدًا نظارًا ، يعرف مسائل الحلال والحرام ، وهو فى ذات الوقـت بحر فى التفسير لا تكدره الدلاء ، كما كان أعرف النــاس بالتــاريخ والسير وعليه المدار فيهما .

رآه الليث بن سعد وسمع منه وكتب عنه ، وأراد أن يرحل إليــه ليرفع إسناد بعض مروياته عنه ، غير أن ورعه أبــى عليــه ذلــك وتحرج من الذهاب إليه لأن نيتـــه فــى ذلــك كــانت إلــى علــو الإسناد [1] ، وعاد إلى الإسناد الساقط فروى غير حديث بينه وبيــن ثلاثة رجال .

* * *

(١) انظر ورع الليث من هذه الدراسة .

٢ــ يحيى بن سعيد (*)

وهو صِنوْ الزهرى وقرينه فى العلم والفضل ، وفى هذا يقول سعيد الجمحى ما يرويه لنا الليث بن سعد : (ما رأيت أحدًا أقرب شبهًا بابن شهاب من يحيى بن سعيد الأنصارى ، ولولاهما لذهب كثير من السنن [١] ؛ بل إن من أهل المدينة من يقدمه على الزهرى [٢] وقد أثنى عليه الليث فى رسالته إلى مالك على ما سيأتى كما وصف الليث علمه الغزير وثقافته الواسعة ، فروى قول عبيد الله ابن عمر (كان يحيى بن سعيد يسح علينا مثل اللؤلؤ) [٣] .

كما نقل عنه الليث قوله : [أهل العلم أهل سعة وما برح المفتون يختلفون فيحلل هذا ، ويحرم هذا ، وأن المسألة لتردّ على أحدهم كالجبل فإذا فتح لها بابها قال ما أهون هذه [٤] .

ويحيى بن سعيد هذا هو الذى تفرّس فى الليث وعلم ما ينتظره من علو الشأن فقال له : (إنك إمام منظور إليك) [٥] .

(*) انظر ترجمته فى تهذيب الكمال جـ٢٠ ، ص١٠٧ ، وما بعدها وسير أعلام النبلاء ص٤٦٨ــ٤٨١ طبقات الحفاظ ص٥٧ ، شذرات الذهب جـ١ ص٢١٢ . وغير ذلك من المصادر .

(١،٢) تهذيب الكمال جـ٢٠ص١٠٧ والسير ص٤٧٢ .

(٣) المصدر السابق ص١٠٨ وانظر السير ص٤٧٢ .

(٤) السير ص٤٧٣ــ٤٧٤ .

(٥) تهذيب الكمال ص٤٤٤ .

تلاميذ الليث :

وكما كان لأبى الحارث العديد من الشيوخ الذين تتلمـــذ عليـــهم وأخذ عنهم وتلقى منهم ، كذلك كان له تلاميذه النجباء الذين تأثروا به وتخرجوا على يديه ورووا مروياته وأحاديثـــه وأخـــبروا بمســـائله وآرائه (١) .

بل إن هناك العديد من المصنفات قامت على رواية الليـــث (٢) . ومن أشهر هؤلاء التلاميذ (٣) : ــ

١ــ عبد الله بن وهب .
٢ــ يحيى بن بكر .
٣ــ قتيبة بن سعيد .
٤ــ يحيى بن يحيى الليثى .
٥ــ عبد الله بن عبد الحكم .
٦ــ ابن القاسم .

---

(١) نجد آثار ذلك واضحًا فى كتب الصحاح كالبخارى ومسلم وسائر الكتب وكذا المســانيد والمعاجم ، كما نجده كذلك فى تفسير الطبرى وفى مجال الفقه ، نجد الأمر ظـــاهرًا فـــى المدونة وكذا كتاب الاستذكار والتمهيد لابن عبد البر .

(٣،٢) انظر ذلك فى كتاب فتوح مصر لابن عبد الحكم حيث أعتمد على روايات الليـــث اعتمادًا كبيرًا .

وفاة الليث :

وبعد حياة عامرة بالخير ، حافلة بالدروس رواية ودراية ودّع الليث دنيانا فى يوم الجمعة ليلة النصف من شعبان سنة خمس وسبعين ومائة [1] محسنا الظن بمولاه شاكرًا له نعمه السابغة قائلاً :

بذرت المال فى أرض العطايا

فأصبحت المكارم من حصادى

وما وجبت علىّ زكاة مال

وهل تجب الزكاة على الجواد [2] .

وكان وقْع وفاته على الناس عظيمًا ، فقد تصدع من العلم بنيان ، واهتزت من المروءة أركان ، فخيّم على الناس حزن عميق وأسى شديد ، يصور لنا هذا الأثر أحد شهود جنازته خالد الصدفى قائلاً : شهدت جنازته وأنا مع أبى فما رأيت جنازة قط بعدها أعظم منها . ورأيت الناس كلهم فى جنازته عليهم الحزن والناس يعزى بعضهم بعضا ويبكون ، فقلت لأبى : كأن كل واحد من الناس صاحب الجنازة ،

---

(١) تاريخ بغداد ص١٤ وغير ذلك من المصادر السابقة .

(٢) تنوير بصائر المقلدين فى مناقب الأئمة المجتهدين ص٤٠ . لمرعى بن يوسف المقدسى ط دار ابن حزم .

فقال : يا بنى كان عالمًا كريمًا حسن العقل كثـــير الأفضـــال ، يا بنى لا يرى مثله أبدًا (١) .

ودفن ــ رضى الله عنه ــ فى القرافة الصغرى (٢) .

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ص٢٥٠ .

(٢) انظر وصف المسجد فى الملحق الوارد بآخر الكتاب .

الفصل الثانى

لمحات من فقهه

تمهيد

مذهب الليث الفقهى :

عرف الليث بن سعد بالاجتهاد واشتهر بالفتوى وكان له مذهبه المستقل ، مثله فى ذلك مثل الأئمة الأربعة وسائر فقهاء الأمصار كالثورى والأوزاعى ، والذى يتأمل آراءه يجده أحيانًا يوافق مالكًا وأخرى يخالفه ، وكذلك الأمر بالنسبة لأبى حنيفة ، فقد يتفقان وقد يختلفان ، وممن شهد لليث بالاجتهاد والاستقلال :

١ــ ابن عبد البر

حيث ذكره بقوله : (أفتى مجتهدًا وقايسًا فيما لم يجد فيه نصا) [١] .

٢ــ ابن عساكر

حيث يظهر ذلك فى ردِّه لمن حصر المذاهب فى أربعة فيقول لهم : (وكأنكم لم تسمعوا بمذهب الليث بن سعد المصرى) [٢].

(١) انظر جامع بيان العلم وفضله ص ٣٦٨ .
(٢) تبيين كذب المفترى ص ٣٦٠ .

٣ــ ابن تيمية

حيث يبين أن الليث بن سعد مثله فى ذلك مثل أصحاب المذاهب الأربعة ، يقول ابن تيمية : (ولم يقل أحد من علماء المسلمين أن الحق منحصر فى أربعة من علماء المسلمين كأبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد..بل أهل السنة متفقون على أن ما تنازع فيه المسلمون وجب ردّه إلى الله والرسول ، وأنه قد يكون قول يخالف قول الأربعة من أقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان وقول هؤلاء الأربعة مثل الثورى والأوزاعى والليث بن سعد وإسحاق ابن راهويه) (١).

ومع هذا فقد ذكر بعض العلماء أنه كان حنفى المذهب وذكر آخرون أنه مالكى المذهب وكلا الأمرين خطأ .

فأما من نسبه إلى الأحناف فابن خلكان ، وزكريا الأنصارى وكذلك ابن أبى العوام (٢).

أما المعاصرون فقد نسبه الشيخ الكوثرى إلى الحنفية فقال : (تفقه على ربيعة وأبى حنيفة وجمع بين الطريقتين الحجازية والعراقية فى الفقه) (٣).

---

(١) منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة القدرية ج٢ ص ٣٨٨ . ط . دار العروبة ــ مصر .

(٢) انظر فى ذلك هامش تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ٣٦٠ .

(٣) انظر فى ذلك هامش تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ٣٦٠ .

وهذا القول من الشيخ الكوثرى يبدو أنه أثر من آثار حبه لأبى حنيفة وحماسه لفقه الأحناف .. وإلا فإن المأثور عن الليث لا يدل على ذلك ، غاية ما يفيده أنه كان يحب رؤية أبى حنيفة لكثرة ما سمع عنه ، وقد مر بنا فى ترجمة الليث أنه أعجب بسرعة جواب أبى حنيفه وحضور بديهيته فى مسألة الخراسانى .

كما نقل ثناء مالك على أبى حنيفة وإعجاب أبى حنيفة بمالك ، كيف والليث يخالف أبا حنيفة كما يخالف مالكا .

وقد اعترف له الكوثرى بالاجتهاد فقال : (والحق أنه استقل فى الاجتهاد) [(١)] .

وقيل أيضًا : إنه مالكى المذهب ، حيث ذكر ابن النديم فى الفهرس أنه (من أصحاب مالك وعلى مذهبه ثم اختار لنفسه) [(٢)].

وهذا القول أيضًا بعيد ، فالليث ومالك ولدا فى عام واحد وتوفيا معًا فى عام واحد وتشاركا فى الشيوخ وكان كل منهما يعتب على صاحبه وينكر مع التقدير والإنصاف الأمر الذى لا يجعل لأحدهما مزية على الآخر وإنما هما نظراء .

---

(١) انظر فى ذلك هامش من تبيين كذب المفترى لابن عساكر حيث ص ٣٦٠ .
(٢) ص ٣٣٩ .

٢ـ رسالة الليث إلى الإمام مالك :

تقدم أن مصنفات الليث لم تسلم من عوادى الزمن وريب الدهر ففقدت فيما فقد من تراث أمتنا .

غير أن مصنفات المالكية وخاصة الأولى منها قد احتفظت لنا بالكثير من آراء الليث ومسائله وإن كانت تكتفى بالإجمال الذى يعوزه الاستدلال والتعليل . ومن هذه المصادر المدونة لسحنون ، والتمهيد ، وكذا الاستذكار لابن عبد البر ، وبداية المجتهد لابن رشد ، وغير ذلك مما هو مذكور فى مظانه من هذه الدراسة . ولعل الذى دفع المصادر المالكية فى أن تولى اهتمامها بآراء الليث ومسائله أكثر مما نراه لدى المصادر الأخرى كالشافعية والحنفية يكمن فى أمرين :

الأول : تعاصر الإمامين مالك والليث فقد ولدا فى عام واحد ٩٤ هـ كما أن منحاهما الفقهى يكاد يكون واحدًا عدا بعض الاختلافات التى تكون داخل المدرسة الفقهية الواحدة فضلاً عما تم من لقاءاتٍ وصلات تعددت وتوالت مع تقدير كل منهما الآخر .

الثانى : أن معظم تلاميذ مالك الذين نشروا علمه كانوا فى الوقت نفسه تلاميذ لأبى الحارث فنقلوا آراء الليث بجانب نقلهم لآراء مالك . فابن وهب ، وابن القاسم ، وأشهب هم الذين تدور عليهم فى

الغالب مرويات الليث وهم فى الوقت ذاته حملة المذهب المالكى لمصر وللمغرب والأندلس .

وبجانب هذه المصادر التى سبقت الإشارة إليها ، هناك مصدر آخر بل هو أشهر هذه المصادر وأعلاها قيمة وأعنى به رسالة الليث إلى مالك ردا على رسالته التى بعثها إليه والتى تتضمن العديد من الآراء الفقهية التى قال بها الليث وخالف فيها مالكا .

وقد حفظت لنا هذه الرسالة وسلمت من الضياع والفقد من خلال الأئمة والأعلام الذين بينوها فى كتبهم . ومن أشهرهم إمام النقاد يحيى بن معين(١) وشيخ المحققين ابن قيم الجوزية (٢) ثم من المتأخرين الحجوى (٣). ومن قبل هؤلاء الإمام الفسوى(٤) .

وقد نشرها مؤخرًا الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة ، كما قام بشرحها الأستاذ عبد السلام غلوش (٥) وإن كان قد انحاز فى شرحه لمذهب الإمام مالك .

---

(١) انظر تاريخ يحيى بن معين رواية الدورى جـ ٢ص ٣٧٨ دار القلم .

(٢) أعلام الموقعين جـ ٣ ص ٨٣ ط الكليات الأزهرية .

(٣) انظر الفكر السامى فى تاريخ الفقه الإسلامى .

(٤) انظر المعرفة والتاريخ جـ١ ص ٣٨٧ وما بعدها .

(٥) تقريب المدارك بشرح رسالتى الليث والإمام مالك ط المكتب الإسلامى .

وقبل أن نُثبت هذه الرسالة وضميمتها رسالة مالك ، ونشـير هنـا إلى أن الرسائل المتبادلة بين مالك والليث كانت كثيرة سـواء علـى مستوى العلاقة الشخصية الخاصة بكل منهما،حيث قضاء الحوائـج وإجابتها أو على مستوى النصح فى العلم وإبداء دلائل الرأى فى مسـائل الاجتهاد والخلاف. فهما حريصان على إبداء النصح والتـآخي،كـل منهما لأخيه ولمن نزل به من الأصحاب والطـلاب علـى عادتـهما المتبعة (١).

وقد أشار كلاهما إلى ما بينهما من كتب ورسـائل فـى صـدر رسالتيهما ، فمالك يقرر أنه نشط للإجابة وسرّ للسؤال ممـا يعنـى أن هناك رسائل من الليث لمالك ، وقد أشار الليث فى صدر رسـالته ما سبق أن كتب به لمالك من كتب ورسائل يسائله فيها عـن دلائـل لأقوال له لم تقع من الليث موقعها ، وهذا يعنـى أن الأمـر بينـهما لم يكن قاصرًا على هاتين الرسالتين فقد سبقهما رسائل وجرت بينهما مكاتبات يظهر هذا جليا من صدر الرسالتين (٢).

---

(١) قال يحيى الليثى : لما ودعت مالكا سألته أن يوصينى فقال لى : عليك بالنصيحـة لله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم ، ثم قدمت على الليث فلما حان فراقى إياه قلت له مثـل مقالتى لمالك فقال لى مثل قوله سواء (ترتيب المدارك ٢، ٣) .

(٢) انظر رسالة أخرى لمالك ينكر فيها على الليث لبسـه الرقـاق وأكلـه الرقـاق أورد بعضها ابن تغربردى فى نجومه الزاهرة ، مصدر سابق جـ ٢ ص ٨٢ .

وقد كان من هذه الرسائل ما يعتب الليث فيه على مالك لبعض ما يصدر عنه من فتاوى وإن كان مالك لم يجاوبه بها . لذا فقد كره الليث معاودة الإنكار والتوقف حتى جاءته رسالة مالك تلك ، نتعرض لها هنا ومنها : (وقد بلغتنا عنكم أشياء فى الفتيا فاستنكرتها وقد كتبت إليك) .

رسالة الإمام مالك التى بعث بها إلى الليث

قال يحيى بن معين :

بسم الله الرحمن الرحيم ، وهذه رسالة مالك بن أنس إلى الليث ابن سعد .

" من مالك بن أنس إلى الليث بن سعد ، سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو .

أما بعد : عصمنا الله وإياك بطاعته فى السرّ والعلانية ، وعافانا وإياك من كل مكروه .

كتبت إليك ، وأنا ومن قبلى من الولدان والأهل على ما تحب ، والله محمود .

أتانا كتابك ، تذكر من حالك ونعمة الله عليك الذى أنا به مسرور ، أسأل الله أن يتم علىّ وعليك صالح ما أنعم علينا وعليك وأن يجعلنا له شاكرين .

وفهمت ما ذكرت فى كتب بعثت بها لأعرضها لك وأبعث بها إليك وقد فعلت ذلك وغيرت منها ما غيرت حتى صح أمرها على ما يجب .

وختمت على كل قنداق [1] . أو قـال يحيـى : فنـداق . منـها بخاتمي ونقشه : " حسبي الله ونعم الوكيل " . وكان حبيبا إليّ حفظـك وقضاءها حاجتك وأنت لذلك أهل .

وصبرت إليك نفسي فى ساعة لم أكن أعرض فيـها لأن أنجـح ذلك ، فتأتيك مع الذى جاءنى بها حتى دفعتها إليك .

وبلغت من ذلك الذى رأيت أنه يلزمنى لك من حقك وحرمتك .

وقد نشطنى ما استطعت مما قبلى من ذلك فى ابتدائك بالنصيحـة لك ورجوته أن يكون لها عندك موضع .

ولم يكن يمنعنى من ذلك قبل اليوم إلا أن يكون رأيى لـم يـزل فيك جميلا إلا أنك لم تذاكرنى شيئًا من هذا الأمر .ولا تكتب فيه إليّ.

واعلم . رحمك الله . أنه بلغنى أنك تفتى بأشـياء مخالفـة لمـا عليه جماعة الناس عندنا ، وببلدنا الذى نحن فيه .

وأنت فى إمامتك وفضلك ومنزلتك من أهل بلدك وحاجـة مـن قبلك إليك . واعتمادهم على ما جاء منك حقيق بأن تخاف على نفسك وتتبع ما نرجو النجاة باتباعه .

فإن الله عز وجل يقول فى كتابه : **﴿ والسابقون الأولـون مـن المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسـان رضـى الله عنـهم**

---

(١) أى صحيفة .

ورضوا عنه وأعدّ لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبــدا ذلك الفوز العظيم ﴾ [١].

وقال تعالى : **﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحســـنه أولئــك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب ﴾** [٢].

فإنما الناس تبع لأهل المدينة ، إليها كانت الهجرة . وبها نـــزل القرآن وأحل الحلال وحرّم الحرام ، إذ رسول الله صلـــى الله عليــه وسلم بين أظهرهم يحضرون الوحى والتنزيل ، ويـــأمرهم فيتبعونــه ويسن لهم فيتبعونه حتى توفاه الله واختار له ما عنده .

ثم قام من بعده أستبع الناس له من أمته . ممن ولى الأمر مـــن بعده فما نزل بهم مما علموا أنفذوه ، وما لم يكن عندهـــم علـــم فيـــه سألوا عنه ثم أخذوا بأقوى ما وجدوا فى ذلك فى اجتـــهادهم وحداثـــة عهدهم .

فإن خالفهم مخالف أو قال امرؤ : " غيره أقوى منـــه وأولـــى " ترك قوله وعمل بغيره .

ثم كان التابعون من بعدهم يسلكون تلك السبيل ويتبعـــون تلـــك السنن .

---

(١) التوبة : ١٠٠ .

(٢) الزمر : ١٨ .

فإذا كان الأمر بالمدينة ظاهرا معمولا به لم أرَ خلافه للذى فـــى أيديهم من تلك الوراثة التى لا يجوز لأحد انتحالها ، ولا ادعاؤها .

ولو ذهب أهل الأمصار يقولون : هذا العمل ببلدنا وهـــذا الـــذى مضى عليه من مضى منا لم يكونوا فى ذلك على ثقة ولم يجز لـــــهم ذلك مثل الذى جاز لهم .

فانظر . رحمك الله . فيما كتبت إليك فيه لنفسك . واعلـــم إنـــى لأرجو أن لا يكون دعائى إلى ما كتبت إليك إلا النصيحة لله والنظـــر إليك والظن بك .

فانزل كتابى منك منزله فإنك إن تفعل تعلم أنى لم آلك نصحا .

وفقنا الله وإياك بطاعته وطاعة رسول الله صلى الله عليه وســـلم فى كل أمر وعلى كل حال .

والسلام عليكم ورحمة الله .

جواب الليث على مالك[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

من الليث بن سعد إلى مالك بن أنس :

سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله ، الذى لا إله إلا هو ، أما بعد : عافانا الله وإياك ، وأحسن لنا العاقبة فى الدنيا والآخرة ــ

قد بلغنى كتابك ، تذكر فيه من صلاح حالكم الــــذى يســـرنى ، فأدام الله ذلك لكم وأتمه بالعون على شكره وبه والزيادة من إحسانه .

وذكرت نظرك فى الكتب التى بعثت بها إليك وإقـــامتك إياهـــا وختمك عليها بخاتمك ، وقد أتتنا .

فجزاك الله عما قدمت منها خيرًا . فإنها كتب انتهت إلينا عنـــك فأحببت أن أبلغ حقيقتها بنظرك فيها .

وذكرت أنه قد نشطك ما كتبت إليك فيه من تقويم ما أتانى منـــك إلى ابتدائى بالنصيحة ، وإنك ترجو أن يكون لها عنـــدى موضـــع ــ أو قال يحيى موقع ــ وأنه لم يكن يمنعك من ذلك فيمـــا خـــلا إلا أن يكون رأيك فينا جميلا ، إلا أنى لم أذاكرك مثل هذا .

---

(١) يلاحظ هنا أن هناك فروقًا طفيفة فى المصادر التى وردت هذه الرسالة على ما ســبق ذكره .

وأنه بلغك أنى أفتى بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندكم وأنه يحق علىّ الخوف على نفسى لاعتماد من قبلى على ما أفتيهم به .

وأن الناس تبع لأهل المدينة . إليها كانت الهجرة ، وبها نزل القرآن .

وقد أصبت بالذى كتبت به من ذلك إن شاء الله . ووقع منى بالموقع الذى تحب وما أجد أحدًا ينسب إليه العلم أكره لشواذ الفتيا ولا أشد تفضيلا.. أو قال : تفصيلا ؟ لعلم أهل المدينة الذين مضوا ، ولا آخذ فتياهم فيما اتفقوا عليه منى والحمد لله . رب العالمين لا شريك له .

وأما ما ذكرت من مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن عليه بين ظهرانى أصحابه وما علمهم الله منه وأن الناس صاروا تبعا لهم ، فكما ذكرت . وأما ما ذكرت من قول الله تبارك وتعالى : **﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم﴾** (١).

---

(١) التوبة : ١٠٠.

فإن كثيرًا من أولئك السابقين الأولين خرجوا إلى الجـــهاد فـــي سبيل الله ابتغاء مرضاة الله فجندوا الأجناد واجتمـــع إليـــهم النـــاس وأظهروا بين ظهرانيهم كتاب الله وسنة رسوله . ولم يكتموهم شـــيئًا علموه .

فكان في كل جند منهم طائفة يعملون بكتاب الله وسنة نبيه صلـــى الله عليه وسلم ولم يكتموهم شيئًا علموه ، ويجتهدون رأيهم فيمـــا لـــم يفسره لهم القرآن والسنة ، ويقوّمهم عليه أبو بكر وعمـــر وعثمـــان الذين اختارهم المسلمون لأنفسهم ، ولم يكن أولئك الثلاثة مضيعيـــن لأنفسهم ولا غافلين عنهم ، بل كانوا يكتبون بالأمر اليســـير لإقامـــة الدين والحذر من الخلاف لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . فلم يتركوا أمرا فسره القرآن أو عمل به النبى صلى الله عليه وســـلم أو ائتمروا فيه إلا علموهموه .

فإذا جاء أمر عمل به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وســـلم بمصر والشام والعراق على عهد أبى بكر وعمـــر وعثمـــان . لـــم يزالوا عليه حتى قبضوا ، لم يأمروهم بغيره فلا نراه يجوز لأجنـــاد المسلمين أن يحدثوا اليوم أمرا لم يعمل به سلفهم من أصحاب رســـول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم حين ذهب أكثر العلماء وبقـــي منهم من لا يشبه من مضى .

مع أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اختلفوا بعـده فى الفتيا فى أشياء كثيرة لولا أنى عرفت أن قد علمتها كتبـت إليـك بها .

ثم اختلف التابعون فى أشياء بعد أصحـاب رسـول الله صلـى عليه وسلم . سعيد بن المسيب ونظراؤه أشد الاختلاف .

ثم اختلف الذين كانوا من بعدهم . حضرناهم بالمدينة وغيرهـا ورأسهم يومئذ فى الفتيا : ابن شهاب ، وربيعة بن أبى عبد الرحمن . رحمة الله عليهما .

فكان من خلاف ربيعة . تجاوز الله عنه لبعـض مـا مضـى ، ما قد حضر وسمعت قولك فيه وقول ذوى السّن من أهل المدينـة : يحيى بن سعيد وعبيد الله بن عمر ، وكثيرّ ابن فرقد وغير ذلك ممـن هو أسن منه حتى اضطرك ما كرهت من ذلك إلى فراقه .

وذكرت أنت وعبد العزيز بن عبد الله . بعض ما نعيـب علـى ربيعة من ذلك فكنتما موافقين فيما أنكره تكرهان منه ما أكره .

ومع ذلك . بحمد الله عند ربيعه خير كثير وعقل أصيل ولسـان بليغ وفضل مستبين وطريقة حسنة فى الإسلام ومودة صادقة لإخوانه عامة ولنا خاصة . رحمه الله ، وغفر له وجزاه بأحسن من عمله .

وكان يكون من ابن شهاب اختلاف كثير إذا لقينـاه وإذا كاتبـه بعضنا . فربما كتب إليه فى الشئ الواحد . على فضل رأيه وعلمـه .

بثلاثة أنواع ينقض بعضها بعضا ولا يشعر بالذى مضى من رأيه فى ذلك الأمر فهو الذى يدعونى إلى ترك ما أنكرت إياه .

وقد عرفت أيضًا أن مما عبت إنكارى إياه أن يجمع أحـــد مـــن أجناد المسلمين بين الصلاتين ليلة المطر . ومطر الشام أكـــثر مـــن مطر المدينة بما لا يعلمه إلا الله عز وجل . لم يجمع منهم إمام قـــط فى ليلة مطر وفيهم : خالد بن الوليد ، وأبو عبيـــدة بـــن الجـــراح ، ويزيد بن أبى سفيان ، وعمرو بن العاص ، ومعاذ بن جبل .

وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـــال : [**أعلمكـــم بالحلال معاذ**] . وقال : [يأتى معاذ يوم القيامة بين يـــدى العلمـــاء برتوة] (١) .

وفيهم شرحبيل بن حسنة ، وأبو الدرداء ، وبلال بن رباح ، وقـد كان أبو ذرٍّ بمصر . والزبير بن العوام ، وسعد بن أبـــى وقـــاص . وبحمص : سبعون من أهل بدر .

وبأجناد المسلمين كلها وبالعراق : ابـــن مســـعود ، وحذيفـــة ، وعمران بن حصين ونزلها على بن أبى طالب عشر سنين بمن كـــان معه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلم يجمعوا بيـــن المغرب والعشاء قط .

---

(١) أى درجة .

ومن ذلك القضاء بشهادة الشاهد ويمين صاحب الحـــق ، وقــد عرفت أنه لم يزل يقضى به فى المدينة ولم يقض به أصحاب رسـول الله صلى الله عليه وسلم بالشام ولا مصر ولا العراق ولم يكتب بـــه إليهم الخلفاء الراشدون المهديون : أبو بكر وعمر وعثمان .

ثم ولى عمر بن عبد العزيز وكان كما قد علمت فى إحياء السنن وقمع البدع والجد فى إقامة الدين والإصابة فى الـرأى والعلـم بمـا مضى من أمر الناس . فكتب إليه رزيق بـــن حكيـم : إنـك كنـت تقضى بذلك فى المدينة بشهادة الشاهد ويمين صاحب الحق . فكتـــب إليه عمر : إنا قد كنا نقضى بذلك فى المدينة فوجدنا أهل الشام علـــى غير ذلك فلا نقضى إلا بشهادة رجلين عدلين أو رجل وامرأتين .

ولم يجمع بين المغرب والعشاء قط فى المطر ، والسماء تسـكب عليه فى منزله الذى كان يكون فيه بخناصرة ساكنا .

ومن ذلك أن أهل المدينة يقضون فى صدقات النساء أنها متـــى شاءت أن تتكلم فى مؤخر صداقها تكلمت ، يدفع ذلك إليها وقد وافق أهل العراق أهل المدينة على ذلك وأهل الشام وأهل مصـــر . ولـم يقض أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من كـــان بعدهم لامرأة بصداقها المؤخر إلا أن يفرق بينهما الموت أو الطـــلاق فتقوم على حقها .

ومن ذلك قولكم فى الإيلاء : إنه لا يكون عليه طلاق حتى يوقف وإن مرت الأربعة أشهر .

وقد حدثنى نافع عن عبد الله . وعبد الله الذى كان يروى عنه ذكر التوقف بعد الأربعة أشهر . أنه كان يقول فى الإيلاء الذى ذكره الله فى كتابه : لا يحل للمولى إذا بلغ الأجل إلا أن يفيء كما أمر الله أو يعزم الطلاق .

وأنتم تقولون : وإذ لبث شهرًا بعد الأربعة أشهر التى سمى الله ولم يوقف لم يكن عليه طلاق .

وقد بلغنا عن عثمان بن عفان ، وزيد بن ثابت ، وقبيصة بن ذؤيب ، وأبى سلمة بن عبد الرحمن . أنهم قالوا فى الإيلاء إذا مضت الأربعة أشهر مضى تطليقة بائنة .

وقال سعيد بن المسيب ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام ، وابن شهاب : إذا مضت الأربعة أشهر فهى تطليقة وله الرجعة فى العدة .

ومن ذلك أن زيد بن ثابت كان يقول : إذا ملّك الرجل امرأته أمرها فاختارت زوجها فهى تطليقة . وإن طلقت نفسها ثلاثا فهى تطليقة ، وقضى به عبد الملك بن مروان . وكان ربيعة بن عبد الرحمن يقول . وقد كان الناس يجتمعون على أنها إن اختارت زوجها لم يكن فيه طلاق ، وإن اختارت نفسها واحدة أو اثنتين كانت

له عليها الرجعة وإن طلقت نفسها ثلاثا بانت منه ولم تحل له حتى تنكح غيره فيدخل بها . ثم يموت عنها أو يطلقها . إلا أن يرد عليها فى مجلسه فيقول : إنما ملكتك واحدة فيُستحلف ويخلى بينه وبين امرأته .

ومن ذلك أن عبد الله بن مسعود . كان يقول : أيما رجل تزوج أمة ثم اشتراها زوجها فاشتراؤه إياها ثلاث تطليقات .

وكان ربيعة يقول ذلك وإن تزوجت الحرة عبدا فاشترته فمثل ذلك .

وقد بلغنا عنكم أشياء فى الفتيا ، فاستنكرتها . وقد كتبت إليك فى بعضها فلم تجبنى فى كتابى . فتخوفت أن تكون استثقلت ذلك فتركت الكتاب إليك فى شيء مما أنكرت ، وفيما أردت فيه علم رأيك .

وذلك أنه كان بلغنى أنك أمرت زفر بن عاصم الهلالى حين أراد أن يستسقى ، أن يقدم الصلاة قبل الخطبة فأعظمت ذلك لأن الخطبة فى الاستسقاء قبل الصلاة كهيئة يوم الجمعة . إلا أن الإمام إذا دنا من فراغه من الخطبة حول وجهه إلى القبلة فدعا وحول رداءه ثم نزل فصلى .

وقد استسقى بين ظهرانيكم عمر بن عبد العزيز وأبو بكر محمد ابن عمرو بن حزم . وغيرهما فكلهم يقدم الخطبة والدعاء قبل الصلاة .

فاستهتر الناس كلهم الذى صنع زفر بن عاصم من ذلك واستنكروه .

ومن ذلك أنه ذكر لى أنك تقول : إن الخليطين فى المال لا يجب عليهما الزكاة حتى يكون لكل واحد منهما ما يجب فيه الصدقة .

وفى كتاب عمر بن الخطاب أنه يجب عليهما الصدقة ويتراداّن بينهما بالسوية . وقد كان ذاك الذى يعمل به فى ولاية عمر بن عبد العزيز قبلكم وغيره .

والذى حدثنا به يحيى بن سعيد . ولم يكن بدون أفاضل العلماء فى زمانه فرحمه الله وغفر له وجعل الجنة مصيره .

ومن ذلك أنه بلغنى أنك تقول : إذا أفلس الرجل وقد باعه رجل سلعة فتقاضى طائفة من ثمنها . أو أنفق المشترى طائفة منها أن يأخذ ما وجد من متاعه .

وكأن الناس على أن البائع إذا تقاضى من ثمنها شيئا أو أنفق المشترى منها شيئا فليست بعينها .

ومن ذلك أنك تذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعط الزبير بن العوام إلا لفرس واحد .

والناس كلهم يحدثون أنه أعطاه أربعة أسهم ، ومنعه سهم الفرس الثالث .

والأمة كلها على هذا الحديث : أهل الشام وأهل مصـــر وأهــل أفريقية وأهل العراق ولا يختلف فيه اثنان .

فلم يكن ينبغي وإن كنت سمعته من رجل مَرضيّ . أن يخـــالف الأمة جميعها .

وقد تركت أشياء كثيرة من أشباه هذه وأنا أحب توفيق الله إيـــاك وطول بقائك لما أرجو للناس في ذلك من المنفعة ، ومـــا أخـــاف أن يكون من المضيعة إذا ذهب مثلك مع استئناس بمكانك وإن نأت الدار فهذه منزلتك عندي ورأيي فيك فاستيقنه .

ولا تترك الكتاب إليّ بخبرك ومالك وحال ولدك وأهلك وحاجـة إن كانت لك أو لأحد يوصل بك ، فإني أسَرُّ بذلك . كتبت إليك ونحن صالحون معافون والحمد لله .

نسأل الله أن يرزقنا وإياكم شكر ما أولانا . وتمام ما أنعـــم بـــه علينا . والسلام عليكم رحمة الله .

التعليق على الرسالتين :

تعد هاتان الرسالتان المتبادلتان بين الإمـــامين الجليليـــن الليــث ومالك نموذجا يحتذى فى آداب الحوار ، ومثالا رفيعا لما ينبغـــى أن تعالج به مسائل الخلاف بين العلماء ، وذلك لما اشتملتا عليـــه مـــن الآداب والمعانى ومن أهمها :

١ــ إنصاف كل منهما للآخر وتقديره والاعتراف بما يحظى بـــه من مكانة ، وهذا التقدير والإنصاف ليس قاصرًا عليـــهما وحدهمـــا وإنما هو مبذول ومقرر لسائر العلماء الذين جمعتهم أواصر التلقـــى والسماع . مع ما قد يكون بينهم من اختلاف فى الرأى ، انظر إلـــى قوله : (ومع ذلك ــ يحمد الله ــ عند ربيعة خير كثير ..)

٢ــ شيوع المودة الخالصة بينهما والنصـــح الخـــالص واللـــذان يمثلان قاسما مشتركا يشيع فى ثنايا الرسالتين .

٣ــ الأدب الجم فى العرض والخلق الدمث فى إنكار كل منـــهما على الآخر فيما يراه مخطئا فيه دون تجريح أو مهاترة أو إسفاف .

الأمر الذى يعنى أن اختلاف الـــرأى وتعـــدد وجـــهات النظـــر لا ينبغى لهما أن يكونا وسيلة لتبرير العداء والتخاصم ، ناهيك عـــن الإفتراء والتكفير .

هذا من ناحية الإطار العام للرسالتين ، أما من حيث المضمون ، فنلاحظ :

أن الإمام مالك يهدف من رسالته إلى توحيد الرأى الفقهى من خلال اعتماد عمل المدينة والنظر إليه باعتباره حكما يعول عليه ويرجع إليه عند الاختلاف فى الرأى (إنما الناس تبع لأهل المدينة) .

وقد استدل على ذلك بمكانة المدينة المنورة وأهلها من الصحابة رضوان الله عليهم الذين سكنوها وأقاموا بها وماتوا فيها وإن كان من الملاحظ أن مالكًا هو الوحيد الذى ذهب إلى هذا الرأى من بين العلماء والمحدثين . وفى هذا يقول الونشريسى : لم يقل أحد غير مالك بأن إجماع أهل المدينة حجة (١).

أما الإمام الليث فإنه يجعل قوة الدليل وسلامة الحجة معيارًا للقول فهو أكثر موضوعية من مالك .

---

(١) المعيار المعرب والجامع المغرب جـ ٢ ، ص ١٦٤ ، ط وزارة الأوقاف المغربية .

شذرات
من آراء الليث الأصولية

من المقرر لدى العلماء أن علم أصول الفقه لم تدون مسائله ولم تحرر قضاياه إلا بعد انقضاء عصر الليث ومالك ، وأن الإمام الشافعي هو فارس هذا الميدان على يديه أصلت أصوله ومهدت قواعده .

ومن هنا فإننا لا نطمع أن يكون قد أثر عن الإمام الليث قواعد محددة أو مبادىء محررة على ما نراه لدى الشافعي ومن جاء بعده من الأصوليين وكذلك الأمر بالنسبة للإمام مالك وكذا الأمر بالنسبة لأبى حنيفة .

وإنما هى شذرات هنا أو هناك نستبين منها بعض الأصول :

١ـ عدم الاعتداد بعمل أهل المدينة :

وربما كانت أشهر هذه الآراء أو المسائل موقفه من عمل أهل المدينة ، وهل هو حجة شرعية يعتمد عليها كما ذهب إليه مالك (١)

---

(١) تعدد التفسيرات لما يقصده مالك (بعمل أهل المدينة) ومن أشهر الدراسات التى تناولت هذا المصطلح ، القاضى عياض فى كتابه " ترتيب المدارك " ومن الدراسات المعاصرة أطروحة الدكتور أحمد محمد يوسف (عمل أهل المدينة بين مصطلحات مالك وآراء الأصوليين) . ط . الاعتصام ، القاهرة .

فى رسالته إلى الليث أو أن الأمر بخلاف ذلك على ما قرره الليث . وتفصيل ذلك :

أن الإمام مالك ـ وهو الوحيد من العلماء والفقهاء [1]ـ يرى أن عمل أهل المدينة مصدر شرعى للأحكام فيقول فى رسالته : (بلغنى أنك تفتى بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندنا وببلدنا الذى نحن فيه) ويقول فى موضع آخر : (فإنما الناس تبع لأهل المدينة) .

وقد استدل مالك على رأيه هذا بمكانة المدينة (التى كانت الهجرة إليها وبها نزل القرآن وأحل الحلال وحرم الحرام ..) .

وهو ما لم يتحقق لبلد آخر (ولو ذهب أهل الأمصار يقولون : هذا العمل ببلدنا وهو الذى مضى عليه من مضى منا لم يكونوا فى ذلك على ثقة) .

هذا هو خلاصة مذهب مالك وذاك هو دليله .

أما الليث فهو يشاطر مالك الرأى فى الإعلاء من شأن المدينة وفى تعظيم مكانة الصحابة رضى الله عنهم وإن الناس تبع لهم .

---

(١) وفى هذا يقول الونشريسى المالكى : (لم يقل أحد غير مالك بأن إجماع أهل المدينة حجة) انظر المعيار المعرب والجامع المغرب جـ ٢ ص ١٦٤ ط وزارة الأوقاف المغربية . وانظر كذلك فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت جـ ٢ ص ٢٣٢ .

غير أن الإقرار بهذا لا يقتضى ما ذهب إليه مالك مـــن حجيـــة عمل أهل المدينة . فالمقدمة لا توصل للنتيجة ولا تسلم إليها خاصـــة عندما يكون الأمر من قبيل الاجتهاد وتعدد الآراء واختلاف المنـــازع وسواء أكان ذلك فى عصر الصحابة ـــ رضى الله عنهم ـــ أم فيمـــا تلا ذلك من عصور ، وسواء أيضا أكان الأمر فى المدينـــة أم كـــان فيما سواها من الأمصار التى استوطنها الصحابة .

ويذكر الليث فى معرض رده هذا أن ما ذهب إليه مـــالك يعـــد من قبيل الرأى المستحدث غير الجائز (فلا نـــراه يجـــوز لأجنـــاد المسلمين أن يحدثوا اليوم أمرًا لم يعمل به سلفهم من أصحاب رسـول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم حين ذهب أكثر العلماء وبقـــى منهم من لا يشبه من مضى) .

ثم يبين أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اختلفـــوا فى الفتيا فى أشياء كثيرة وكذلك من جاء من بعدهم حتى عصر مالك فيذكره باختلاف ربيعة وابن شهاب .

ثم يتنزل الليث فيبين أن كثيرا من أجلاء الصحابة وفضلائهم فى كثير من الأمصار والأقطار يخـــالفون أهـــل المدينـــة فـــى بعـــض الآراء .

التعليق على مذهب الليث :

يحظى رأى الليث فى عدم الاعتداد بعمل أهل المدينة موافقة جمهور الأئمة سواء كانوا من أهل الاجتهاد كالشافعى وأبى حنيفة ومحمد بن الحسن وابن حزم وابن قيم الجوزية . أم كانوا من تابعيهم من الفقهاء والأصوليين .

فالشافعى يرى أن القول بإجماع أهل المدينة لا يستقيم مع القائلين به أنفسهم إذ أنهم كثيرو المخالفة له [1].

ومحمد بن الحسن يقول مخاطبا القائلين بحجية عمل أهل المدينة (تدعون اتباع الآثار ثم تتركونها عيانا) [2](يتركون ما عليه أوائلهم) [3] .

وقد أشار الليث إلى هذه الحجج سواء فى رسالته السالفة أو فيما نقله عنه ابن عبد البر (أحصيت على مالك بن أنس سبعين مسألة كلها مخالفة لسنة النبى صلى الله عليه وسلم مما قال مالك فيها برأيه ، قال : ولقد كتبت إليه فى ذلك) [4] .

---

(١) انظر حجج الشافعى على مالك فى الأم جـ ٧ ص ٢٤٠ – ٢٥٠ .

(٢) الحجة لمحمد بن الحسن .

(٣) الحجة لمحمد بن الحسن .

(٤) جامع بيان العلم ص ٤٩٧ ط دار الكتب الإسلامية .

وهو ما دندن حوله ابن حزم وابن القيم [١] .

الأمر الذى دعا الاصوليين من المالكية إلى التضييق فى تفسير مراد الإمام مالك وأنه يقصد ما كان سبيله الأخبار والنقل ، مما لا مجال للرأى فيه كالأذان والإقامة والأوقاف والصاع والمد ونحو ذلك [٢].

بل إن الإمام مالك رأى ألا يحمل الناس على ما جاء فى الموطأ مُعلِّلاً ذلك بتفرق الصحابة فى الأمصار . فقد روى عنه أنه قال لما حج المنصور دعانى فدخلت عليه فحادثته وسألنى فأجبته فقال المنصور : عزمت أن آمر بكتبك هذه – يعنى الموطأ – فتنسخ نسخا ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين بنسخة وأمرهم أن يعملوا بما فيها ويدعوا ما سوى ذلك من العلم فقال له مالك يا أمير المؤمنين لا تفعل فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل وسمعوا أحاديث وأخذ كل قوم بما سبق إليهم وعملوا به . .) [٣].

وهذا الرد من مالك يعنى تأثره برسالة الليث وما جاء فيها من تفرق الصحابة فى الأمصار .

---

(١) انظر الأحكام ، المجلد الأول ٥٥٦ ، ٥٦٢ وأعلام الموقعين جـ ٢ ص٣٨٣ وما بعدها .

(٢) انظر فى ذلك أحكام الفصول للباجى جـ ١ ص ٤٨٦ وانظر كذلك تقريب المدارك جـ ١ ص ٤٧ .

(٣) انظر الديباج المذهب .

أحوال المجتهدين [١] عند الليث بن سعد

توطئة :

اختلف الفقهاء والأصوليون فى المجتهدين إذا ما تعددت أنظارهم وتباينت آراؤهم فى تصويب المجتهدين جميعا أو واحدًا فقط وتخطئة سواه .

واختلافهم هذا ناشىء عن اختلاف آخر مؤداه : هل لله تعالى فى كل حادثة حكم معين يرجح بالظنون فيصيبه بعض العلماء ويخطئه آخرون ، والقائلون بهذا هم الذين يرون أن المصيب واحد . وأنه ليس لله تعالى حكم معين فى المسألة قبل الاجتهاد ، بل الحكم فيها تابع لظن المجتهد وهو ما يفضى إليه اجتهاد المجتهد وهؤلاء هم القائلون بتصويب جميع

---

(١) الاجتهاد فى اللغة عبارة عن استفراغ الوسع فى تحقيق أمر من الأمور . وعند الأصوليين هو بذل الجهد فى استخراج الأحكام من شواهدها الدالة عليها بالنظر المؤدى إليها . وقيل : هو استفراغ الفقيه الوسع لتحصيل ظن بحكم شرعى ، والتقيد بالظن هنا ليخرج طلب النص ولبيان أن المجتهد فيه هو الحكم الشرعى الذى لا قاطع فيه (انظر كشف الأسرار على البزدوى جـ ٤ ص ١٤) .

وقد عرفه الباجى بتعريفين بناء على مذهب العلماء فى التصويب والتخطئة فعلى الأول هو بذل الوسع فى بلوغ حكم الحادثة ، وعلى الثانى بذل الوسع فى طلب صواب الحكم (انظر الحدود للباجى ص ٦٤) .

المجتهدين [1].

ويذهب جمهور الفقهاء إلى أن الله تعالى حكما معينـــا فـــي كـــل حادثة ، من وافقه من المجتهدين فهو المصيب ، ومن لـــم يصادفـــه أخطأ وإن حط عنه الإثم وحصل أجر الاجتهاد ، وهو المراد بقولـــه صلى الله عليه وسلم : (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فلـــه أجـــران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر) [2].

ومن القائلين بذلك الإمام مالك فقد سئل عن أصحاب النبى صلـــى الله عليه وسلم فقال : (مخطئ ومصيب) [3].

وإن كان القاضى أبو بكر بن العربى نسب مقابله إلـــى مـــالك ، فذكر أن تصويب الكل هو قول العلماء ، وبين أن مذهـــب المخطئـــة لا يمت للفقه فقال : (ومنهم من قال : إن الحق فى قـــول بعضـــهم وإليه يميل الضعفاء بجهلهم بالطريقة) [4] .

(١) انظر فى هذا كشف الأسرار جـ ٤ ص ١٨ وكذا المعيار جـ ١٢ ص ٤٠ .

(٢) رواه البخارى .

(٣) انظر إحكام الفصول فى أحكام الأصول جـ٢ ص ٧١٣ وما بعدها . وقد أطال فـــى الانتصار لهذا الرأى وحشد عددا كبيرا من الوجوه والأدلة .

وزاد الونشريسى فى قول مالك السابق : (فعليك بالاجتهاد ، وقال : ليس كما قـــال نـــاس فيه توسعة) انظر المعيار المعرب جـ ١٠ ص ٤٨ .

(٤) المحصول فى أصول الفقه ص١٥٢ ط دار البيارق .

وكذا الأمر بالنسبة إلى الشافعى ، فجمهور الشـــافعية علـــى أن المصيب عنده واحد [١] .

فى حين ذهب الغزالى إلى تصويب الجميع [٢].

ولم يخرج عن هذا المعنى الأحناف [٣] والحنابلة [٤] .

أما جمهور المتكلمين فيرون تصويب الجميع سواء كـــانوا مـــن المعتزلة أو الأشاعرة [٥].

مذهب الليث بن سعد

يرى الليث شأنه شأن سائر الأئمة أن المصيـــب واحـــد وهـــو ما أشار إليه الزركشى ناقلاً فى ذلك عن المزنى أن ذلك هو مذهـــب الليث [٦] .وهو ما أشار إليه فى قوله:(سمعت مالكًا يقول : ما الحق

---

(١) انظر فى هذا البحر المحيط جـ٦ ص٢٤٣ وما بعدها .

(٢) انظر المستصفى جـ٢ والمتحول .

(٣) انظر كشف الأسرار جـ٤ ص١٩ .

(٤) التمهيد ، أبو الخطاب الكلوذانى جـ٤ ص٣١٠ .

(٥) انظر كشف الأسرار ، مرجع سابق ، وكذلك التمهيد ، وانظر أيضًا حاشية العطـــار جـ٢ ص٤٢٩ .

(٦) انظر فى ذلك البحر المحيط جـ٦ ص٢٤٣ ، وكذا ص٢٤٧ .

إلا واحد ، قولان مختلفان لا يكونان صوابًا معًا ما الحق والصـــواب إلا واحد وبه يقول الليث [1].

(١) المعيار المعرب جـ١٢ ص٤١ .

الليث بن سعد وحجية قول الصحابي

تمهيـــــد :

المراد بالصحابي هنا الفقيه الذى اشتهر بالفقه وعرف بــــالفتوى لا مطلق من رأى النبـــي ﷺ علـــى اصطـــلاح المحدثيـــن وبعـــض الأصوليين [1] .

وهو ما عناه ابن خلدون بقوله : (ثم إن الصحابة ـــ رضـــي الله عنهم ـــ كلهم لم يكونوا أهل فتيا ، ولا كان الدين يؤخذ من جميعـــهم . وإنما كان ذلـــك مختصـًا بالحـــاملين للقـــرآن ، العـــارفين بناســـخه ومنسوخه ، ومتشابهه ومحكمــــه وســـائر دلالتــه بمـــا تلقـــوه مـــن النبى ﷺ) [2] .

وقد فصل ابن حزم فى رســـالته (المفتـــون مـــن الصحابـــة) ما أجمله ابن خلدون ، فبين عددهم والمكثرون منهم والمقلّون ، ومـــن أشهر فقهاء الصحابة : الخلفاء الأربعة ، وعبد الله بن مسعود ومعـــاذ ابن جبل ، وزيد بن ثابت ، وعائشة وغيرهم .

---

(١) انظر فى تعريف الصحابى بيان المختصر ـــ شرح مختصر ابن الحاجب للأصفـــهانى جـــ١ ص٧١٤ ط جامعة أم القرى وسائر المصادر الأصولية وكذا الإصابة لابـــن حجـــر جـــ١ص٣ .

(٢) مقدمة ابن خلدون جـــ٣ ص١٠٤٦ ط نهضة مصر .

هذا من حيث التعريف وبيان المراد بالصحابة فى مسألتنا .

أما من حيث مناهج الفقهاء والأصوليين فى الأخذ بقول الصحابة والتعويل عليه واعتباره مصدراً من المصادر وأصلاً من الأصـــول الشرعية فقد تعددت الأنظار . فالجمهور ــ ومنهم الليث بن ســعد ــ يرون الأخذ بما صح عن الصحابة ــ رضى الله عنهم ــ .

وقد أسهب ابن القيم فى التدليل لهذا الرأى والانتصار له حتـــى عدَّ أربعا وأربعين وجها توجب الأخذ به (١) . وكذلك فعــل الحــافظ العلائى (٢) .

وممن وافق الليث على الأخذ بقول الصحابى الفقيه الأئمة الثلاثة مالك وأحمد والنعمان بن ثابت .

وقد تردد القول بين الشافعية فى أخذ الشافعى بــه فــى مذهبــه الجديد ، أما مذهبه القديم فذلك مقطوع به .

أما المخالفون الذين لا يرون حجية قول الصحابى فمن أشــهرهم الغزالى ، والآمدى ، وابن الحاجب (٣) .

---

(١) انظر فى ذلك أعلام الموقعين جـ٤ ص١٢٠ــ١٥٦ .

(٢) وقد خصص العلائى لهذه المسألة رسالة بعنوان : " إجمـــال الإصابــة فــى أقــوال الصحابة) ط مركز إحياء التراث ، الكويت .

(٣) انظر فى هذا المنخول ص٤٧٥ ، البرهان ص١٣٥٨ .

مذهب الليث بن سعد

وبعد هذا التطواف السريع حول معنى الصحابى ، نعود لأصـــل المسألة فنبين موقف الليث بن سعد من هذا المصدر ، ولعل رأيه هنـا هو أكثر آراء الليث ذيوعًا وتفصيلا لورودوه فى رسالته لمالك التـــى سلمت من عوادى الزمن وغوائله ، هذا من ناحيـــة . ومـــن ناحيـــة أخرى كان مذهبه هذا داعيا لاتخاذ موقف متشدد من قاضى مصـــــر " اليسع " على ما مرَّ .

وتفصيل ذلك يظهر فى كثير من المسائل التى أنكر فيها الليـــث على مالك حيث أكثر من الاحتجاج بأقوال الصحابة وأفعالهم فى حين كان مالك ــ وهو من القائلين بحجية قول الصحابى على ما مـــرَّ ــ يخصص الحديث فضلا عن أقوال الصحابة بعمل أهل المدينة نلمـــح ذلك جليا فى مثل قول الليث : فإذا جاء أمر عمل فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمصر والشام والعراق على عهد أبى بكـــر وعمر وعثمان ، ولم يزالوا عليه حتى قبضوا لم يأمروهم بغيره فـــلا نراه يجوز لأجناد المسلمين أن يحدثوا اليوم أمرا لم يعمل به ســـلفهم هذا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن المسائل التى وردت فى رسالة الليث ويظهر فيـــها قولـــه بمرجعية الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ عدم جواز الجمـــع بيـــن الصلاتين بسبب المطر حيث يحتج الليث بأن مطر الشام أكـــثر مـــن

مطر المدينة ، ومع هذا لم يجمع الصحابة المقيمون بالشــام خاصــة وأن منهم أعلاما فى الفقه والفتوى والاجتهاد ، وكذلك الأمر بمصر . ويسوق الليث عددا كبيرا من هــؤلاء الصحابــة المقيميــن بــهذين المصرين ومع هذا لم يؤثر عن أحد منهم الجمع بين الصلاتين .

وكذلك الأمر فى مسألة القضاء بالشاهد واليمين .

ومن مظاهر قول الليث بحجية قول الصحابة ولم ترد فى رسالته لمالك مجادلته إسماعيل بن اليسع الكندى قاضى مصر حيــث أنكــر عليه فى إبطاله الوقف ، يقول الليث له : (إنما جئت مخاصمًا لــك . قال : فبماذا ؟ قال فى إبطالك أحباس المسلمين ، قد حبس رســول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبــير فمن بقى بعد هؤلاء) [1] .

وخلاصة الأمر عند الفقهاء أنه لا خلاف فى أن قول الصحـــابى فيما لا يدرك بالرأى والعقل يكون حجة على المسلمين لأنه لابـــد أن يكون قاله عن سماع من الرسول صلى الله عليه وسلم .

وأن قول الصحابى الذى لم يعرف له مخالف من الصحابة يكون حجة على المسلمين .

---

(١) ولاة مصر وقضاتها لأبى عمرو يوسف الكندى ص٢٨٠ ط مؤسسة الكتب الثقافيــة . بيروت .

وإنما الخلاف فى قول الصحابى الصادر عن رأيه واجتهاده ولم تتفق عليه كلمة الصحابة فينبغى أن يتمثل فيه قول أبى حنيفة ومن وافقه (إذا لم أجد فى كتاب الله ولا سنة رسوله أخذت بقول أصحابه من شئت وأدع قول من شئت ثم لا أخرج عن قولهم إلى غيره) [١].

---

(١) انظر أصول الفقه ــ د . عبد الوهاب خلاف ٩٥ .

الليث بن سعد وسدّ الذرائع

تمهيد :

الذريعة فى اللغة الوسيلة [1] يقول ابن القيم : الذريعة مـــا كـــان وسيلة وطريقا إلى الشىء وفى الاصطلاح : الأشياء التى ظاهرهـــا الإباحة ويتوصل بها إلى فعل محظور [2] .

وقد ورد فى القرآن آيات كثيرة تشير إلى اعتبار ســـد الذرائـــع ومنها قوله : **﴿ ولا تَسبُّوا الذين يدعون مـــن دون الله فيســـبوا الله عدوا بغير علم ﴾** [3]. وقوله تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقولـــوا راعنا وقولوا انظرنا ﴾** [4].

ووجه الدلالة فى الآية الأولى أن الله نـــــهى مـــن ســـبّ آلهـــة المشركين لئلا يكون ذلك ذريعة إلى سب الله تعالى .

(١) انظر لسان العرب ، حيث يقال : فلان ذو بعث إليك أى سبب وصلنى .
(٢) انظر الموسوعة الفقهية .
(٣) الأنعام : ١٠٨ .
(٤) البقرة : ١٠٤ .

وفى الآية الثانية نهى عن كلمة راعنا لئلا يكون ذلـــك ذريعــة لليهود إلى سب النبى صلى الله عليه وسلم لأن رَاعِنًا فى لغتهم ســبٌ للمخاطب [(1)].

وكذلك اعتبرتها السنة ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وســلم : **[إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه ، قالوا كيف يَلْعَنُ الرجل والديه يا رسول الله قال : يَسُبُّ الرجل أباَ الرجل ، فيسب الرجل أباه ويسب أمه]** [(2)].

ومن هنا فإن من تأمل مصادر الشريعة ومواردها علــم أن الله تعالى ورسوله قد سدا الذرائع المفضية إلى المحارم فحرمت ونــهى عنها .

ويقول ابن رشد : (إن أبواب الذرائع فى الكتاب والسنة يطــول ذكرها ولا يمكن حصرها) [(3)].

موقف الفقهاء من سدّ الذرائع :

يشاع بين دارسى الأصول أن الفقهاء يختلفون فى الأخذ بقــاعدة سدّ الذرائع غير أن هذا الاختلاف لفظى فقط وأن الجميع يقولون بــها ومن هنا يقول الشاطبى : (فقد ظهر أن قاعدة الذرائع متفــق علــى

(1) انظر الموسوعة الفقهية نقلاً عن سد الذرائع فى الشريعة ـــ هشام البرهانى .
(2) مسند الإمام أحمد .
(3) الموسوعة الفقهية .

اعتبارها فى الجملة) [1].

وهو ما يعنيه د . محمد سلام مدكور فى قولـــه : (إن الفقـــهاء جميعًا يأخذون بأصل الذرائع مع اختلاف فى أحكام الفقـــه) يعطـــى أكثر الفقهاء فيها الوسيلة حكم الغاية إذا لقيت الوسيلة طريقًـــا لـــهذه الغاية) [2].

وهو ما يقرره الشيخ محمد أبو زهـــرة بقولـــه : (إن الذرائـــع أصل فى الفقه الإسلامى أخذ به الفقهاء جميعًا وأنـــهم اختلفـــوا فـــى مقداره) [3].

الليث بن سعد والأخذ بسدّ الذرائع :

ومن هنا أخذ الليث بهذا المبدأ أو ظهر فى كثير من آرائه منـــها على سبيل المثال :

١ـــ ما أجمع عليه الفقهاء من فساد نكاح من عقد علـــى امـــرأة فى عدتها من غيره ولزوم التفريق بينهما سواء كان قبل الدخـــول أو بعده غير أن الليث لم يكتفِ بالتفريق بينهما .

---

(١) الموافقات جـ ٤ ص ٢٠٠ ط . دار المعرفة .

(٢) مناهج الاجتهاد ص ٣١٨ .

(٣) أصول الفقه ص ٣٣٢ .

وإنما خطا خطوة أخرى سدًا للذرائع وهى وجوب تأبيد الحرمـــة فلا تحل له بعد ذلك أبدًا وممن وافق الليث فى تأبيد الحرمـــــة مـــالك وأحمد والأوزاعى ، أما أبو حنيفة والشافعى فقد أجازا له نكاحها بعــد انقضاء عدتها [١].

٢ــ توريث المبتوتة فى مرض الموت :

وعملا بهذه القاعدة ذهب الفقهاء إلى أن من طلق زوجته طلاقًـــا بائنًا فى مرضه ومات إلى توريثها عملاً للمطلق بخلاف قصده .

ولم يخالف الليث بن سعد فقضى بالتوريث فـــى كــل أحوالــها سواء مات فى عدتها أو بعدها ، وسواء تزوجت أم لم تتزوج .

وهو مذهب مالك أيضًا ، بينما ذهب أبو حنيفة إلى توريثـــها إن مات فى عدتها ومال أحمد إلى توريثها ما لم تتزوج [٢].

٣ــ كراهة الاجتماع فى المساجد يوم عرفة (التعريف) .

فقد كره الاجتماع فى المساجد يوم عرفة للدعـــاء علـــى وجـــه التشبيه بدعاء الحجيج لأنه ذريعة إلى نقض خصوصية المكـــان فـــى أداء النسك [٣].

---

(١) انظر فى ذلك سدّ الذرائع فى الشريعة الإسلامية لمحمد هشام البرهـــانى ص ٢٦٠ . ط . الريحانى ــ بيروت ١٩٨٥ بتصرف .

(٢) انظر المصدر السابق بتصرف ٦٣٧ .

(٣) الاعتصام جــ ١ ص ٣٥٩ وسدّ الذرائع ٥٨٧ .

من فروع الليث الفقهية

احتفظت لنا مدونات الفقه بمجموعة وفيرة من آراء الليث الفقهية ومن أشهر هذه المصادر :

١ ــ المدونة التى جمعت فقه مالك والتى اشتملت بدورها على مثـات المرويات عن الليث بن سعد .

٢ ــ الاستذكار لابن عبد البر .

٣ ــ التمهيد لابن عبد البر .

٤ ــ الإشراف على مذاهب أهل الأمصار لابن المنذر .

٥ ــ المجموع للنووى .

٦ ــ المغنى لابن قدامة .

٧ ــ اختلاف العلماء للطحاوى وقد طبع مختصره مؤخرًا .

٨ ــ المغنى لابن قدامة .

٩ ــ المعيار المعرب للونشريسى .

١٠ ــ أحكام القرآن للقاضى أبى بكر بن العربى .

١١ ــ أحكام القرآن للجصاص .

١٢ ــ المحلى لابن حزم .

١٣ ــ نيل الأوطار للشوكانى .
١٤ ــ الأموال لأبى عبيدة .
١٥ ــ الأموال لابن زنجويه .

فضلاً عن أمهات كتب التفسير وعلى رأسها تفسير الطبرى والقرطبى والرازى حيث احتوت على جملة كبيرة من آرائه الفقهية بجانب مروياته فى التفسير .

وإن كان من الملاحظ أن هذه المرويات الفقهية قد احتفظت لنا بآراء الليث فقط دون أن تذكر لنا الشواهد والأدلة والتخريج ، ربما كان السبب فى ذلك أن أراءه هذه ليست بدعًا فى الفقه وإنما هى تتسق مع سائر الآراء الفقهية المتوزعة على أرباب المذاهب وكبار الفقهاء ومن هنا فإن تعليلاته وأدلته لن تخرج عن تأصيل أصحاب المذاهب فيما يتدارسه الناس فلم تكن هناك حاجة لذكرها تفاديًا للتكرار .

والخلاصة أن آراء الليث المحفوظة فى مدونات الفقهاء أشبه ما تكون بالمتن هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نلحظ دوران آراء الليث مع سائر المذاهب . فمرة يتفق ما يراه مع الأحناف وطوراً يوافق مالك ، وقد يتطابق مذهب الليث مع مذهب الشافعى وهو فى ذلك كله يرجع إلى ما صح له واستقام لديه . وقد رأينا صوراً من ذلك فى رسالته إلى مالك وهذه بعضًا منها :

١ ـ القنوت :

كان الليث بن سعد لا يرى القنوت وقال بكراهته جملة [1] .

٢ ـ عدم اشتراط المصر [2] :

فهو لا يشترط لصلاة الجمعة أن تختص بالمصر وحـــده وإنمـــا تجوز فى أى مكان طالما توفر العدد الكبير .

٣ ـ المنع من تحية المسجد حال الخطبة [3] :

يرى الليث عدم جواز صلاة تحية المسجد لمن دخـــل والإمـــام يخطب موافقًا لجمهور العلماء .

٤ ـ النيابة فى الصيام :

ذكر ابن حزم أن من مذهب الليث أن (من مات وعليه صـــوم فرض من قضاء رمضان أو نذر أو كفارة واجبة ففرض على أوليائه أن يصوموه عنه هم أو بعضهم ولا إطعام فى ذلك أصلاً ـ أوصـــى به أو لم يوص به ـ فإن لم يكن له ولى استؤجر عنه من رأس مالـــه من يصومه عنه ولابد ـ أوصى بكل ذلك أو لـــم يوصـــى ـ وهـــو متقدم على ديون الناس) [4] .

---

(١) انظر أحكام القرآن للقرطبى ٢٠٣/٤ والمحلى لابن حزم ص ٢٠٢ .

(٢) نيل الأوطار ج ٣ ، ص ٢٦٦ .

(٣) نيل الأوطار ٢١٦/٣ .

(٤) المحلى ٤١٢/٦ .

٥ ــ وجوب الأضحية [١] :

وكان من مذهب الليث بن سعد وجوب الأضحية متفقًا فى ذلــك مع المالكية والحنفية وهذا بالطبع فيما لو كان موسرًا .

٦ ــ جواز وصل المرأة شعرها بغير جنة :

يرى الليث أنه يجوز للمرأة وصل شعرها بالصوف والخرق ليس بشعر [٢] .

٧ ــ كراهة تعدد الجماعات فى المسجد الواحد :

من مذهب الليث أنه لا تعاد الجماعة فى مسجد له إمام راتب [٣] والعلة فى ذلك دفع ما يظن أن فى ذلك مكايدة لإمام المســجد فدفعًــا لهذا الوهم منع الليث ذلك .

٩ ــ طهارة الخمر :

يرى الليث أن الخمر طاهرة ، وأن المحرم هو شربها فى حيــن يرى جمهور الفقهاء نجاستها [٤] .

---

(١) المغنى /٦١٧ ، المجموع ٨ /٢٨٤ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٥/٣٩٤ .

(٣) المجموع ٤/١٠٧ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٦/٢٨٨ .

١٠ ـ عدم وجوب الزكاة فى حلى النساء :

من مذهب الليث أنه لا زكاة فى الحلى من الذهب إذا أريد للزينة واللباس [(١)] .

١١ ـ ترك رمى الجمار :

من ترك رمى الحجار حتى انقضت أيام منى فالواجب عليـــه دم أما من نسى حصاة فبعض الفقهاء يرخص فى ذلك وبعضهم يوجـــب عليه التصدق بشىء .

أما مذهب الليث فذهب إلى أن ترك الحصاة الواحدة موجبًا للـــدم عنده فيجبرها بشاة قال ابن عبد البر (وقال الليث عليه فى الحصـــــاة الواحدة دم) [(٢)] .

١٢ ـ عدم جواز قتل نساء الحربين وأطفالهم :

ذهب الليث كسائر الفقهاء إلى عدم جواز قتل غـــير المقـــاتلين من النساء والأطفال اللهم إلا إذا كانوا من المقاتلـــة فعندئـــذ يجـــوز قتلهم [(٣)] .

---

(١) المحلى ٩٣/٦ .

(٢) انظر تفصيل ذلك فى الاستذكار ج١٣ ، ص ٢٢٤ .

(٣) المصدر نفسه ج١٤ ص ٦٠ .

١٣ ــ عدم جواز قتل الرهبان :

ومن تمام المسألة السابقة عدم جواز قتل الرهبان فقال الليث (لا يقتل الراهب فى صومعته ويترك له من ماله القوت) [١] .

١٤ ــ من أحكام النذر :

يروى عن الليث فى ذلك عدداً من المسائل والأحكام منها :

أ ــ أن من نذر التصدق بجميع ماله أجزأه التصدق بالثلث [٢] ، وقد فصل ابن عبد البر ما ورد عن الليث فى هذه المسألة فقال : قال الليث فيمن جعل ماله صدقة للمسلمين أو فى سبيل الله ، إن كان حلف بذلك فحنث فإنه يكفر كفارة يمين ، وإن كان إنما هو شىء جعله لله على نفسه على وجه الشكر والتقرب إلى الله تعالى فإن ما عليه أن يخرج ثلث ماله) .

ب ــ إن من نذر صياماً فى موضع فعليه أن يصوم فى ذلك الموضع ، ومن نذر المشى إلى مسجد من المساجد مشى إلى ذلك المسجد [٣] .

---

(١) نفسه ص ٧٢ .

(٢) المغنى ٣٣٩/١١ ، المحلى ١٠/٨ ، الاستذكار ١٠٤/١٥ .

(٣) الاستذكار ٢١/١٥ .

١٥ ـ لغو اليمين :

يرى الليث أن الحلف على شيء يستيقنه الحالف ثم يظهر بخلاف ذلك عدم وجوب الكفارة [١] .

---

(١) الاستذكار ٦٢/١٥ .

نماذج من آراء الليث فى الاستذكار لمذاهب أهل الأمصار
لابن عبد البر ط الرسالة

الليث بن سعد : ٢١٢/١ ، ٢٥٠ ، ٢٩٣ ، ٢٩٧ ، ٤٩١ ، ٥٠٨ ، ٥٢٠، ٥٢١ ، ٦٠٠ ، ٧٩٥ ، ٩٠٠ ، ١٠١٣ ، ١١٤٣/٢ ، ١١٨٤ ، ١٢٦٤ ، ١٣٨٩ ، ١٤٥٦ ، ١٥٩٨ ، ١٦٤٦ ، ١٧٩٣ ، ٢٠٨٨، ٢٢٣٣ ، ٢٢٤٨ ، ٢٢٦٢ ، ٢٥٥٩/٣ ، ٢٥٦٢ ، ٢٦١٧ ، ٢٧٣٨ ، ٢٧٥٩ ، ٢٨٦٤ ، ٢٨٨٧، ٢٩٧٣ ، ٣٠٥٥ ، ٣٢١٢ ، ٣٢٢٧ ، ٣٢٧٢ ، ٣٢٩٠ ، ٣٣٢٧ ، ٣٣٦٢ ، ٣٣٨٦ ، ٣٣٩٧ ، ٣٤٧٨ ، ٣٥٠٣ ، ٣٥٦٨ ، ٣٥٧٩ ، ٣٦٠٩ ، ٣٦٩٨ ، ٣٧١٣ ، ٣٧١٤، ٣٨٧١/٤ ، ٣٩١٩ ، ٤١٦٤ ، ٤١٩٢ ، ٤٨٩٦ ، ٥١٣٠ ، ٥١٤٣ ، ٥١٤٤ ، ٥١٤٥ ، ٥١٧٨ ، ٥٤٠٦ ، ٥٤٣٣ ، ٥٥٠٠ ، ٥٥٢٣ ، ٥٧٤٤/٥ ، ٥٧٤٦ ، ٥٧٧٤ ، ٥٨٣٢ ، ٥٩٠٠ ، ٦٠٤٥، ٦١٨٨ ، ٢٩٧ح ، ٦٣٠٨ ، ٦٣٠٩ ، ٦٣١٢ ، ٦٥٢٣ ، ٦٦٠٩ ، ٦٦٨٢ ، ٦٧٢٢ ، ٦٨٤٧ ، ٧٣٣٣٠ ، ٧٤٣٩ ، ٧٤٩٥ ، ٧٦٨٥ ، ٧٧٢٩/٦ ، ٧٧٩١ ، ٧٨٠٧ ، ٧٩٩٦ ، ٨٠٣٢ ، ٨١٤٧ ، ٨١٩٢، ٨٢١٦ ، ٨٢٥١ ، ٨٣٠٧ ، ٨٥٨٤ ، ٨٥٨٦، ٨٦٢٩ ، ٨٧٤١ ، ٨٨٣٨ ، ٨٨٤٢ ، ٨٩٧٣ ، ٩٠٥٠ ، ٩٠٨٣ ، ٩١٠ ، ٩٣٥٢ ،

٩٥٣٢/٧ ، ٩٦٢٠ ، ٩٦٥٥ ، ٩٧٦٨ ، ٩٧٨٩ ، ٩٨١٤ ، ٩٨١٥،
٩٨٢٦، ٩٩٣٥ ، ٩٩٥١ ، ٩٩٨٧ ، ١٠٦٥٤/٨ ، ١٠٦٥٧ ،
١٠٦٧١ ، ١٠٦٨١ ، ١٠٧٠٧ ، ١١٠٣٨ ، ١١٠٨٧ ، ١١٠٨٨ ،
١١١٤٩ ، ١١٢٨٩ ، ١١٣١٥ ، ١١٤١٥ ، ١١٤١٨ ، ١١٦١٢ ،
١٢٢٤٨/٩ ، ١٢٣١١ ، ١٢٣٧٠ ، ١٢٣٧١ ، ١٢٤١٥ ، ١٢٤٤٤،
١٢٤٦١ ، ١٢٤٧٣ ، ١٢٥٠٦ ، ١٢٥١٩ ، ١٢٥٦٥ ، ١٢٥٨٧ ،
١٢٧٧٣ ، ١٢٨٥٩ ، ١٢٨٨٩ ، ١٣٠٣٣ ، ١٣١٢٩ ، ١٣١٥٥ ،
١٣١٦١ ، ١٣١٩٥، ١٣٢٢٠ ، ١٣٢٢٧ ، ١٣٣٣٧ ، ١٣٤٩٧ ،
١٣٥٠٦ ، ١٣٥٨٢ ، ١٣٦٨٧ ، ١٣٥٨٩ ، ١٣٥٩٠ ، ١٣٥٩١ ،
١٣٥٩٩ ، ١٣٦٧١ ، ١٣٧٠٧ ، ١٣٧١٣ ، ١٣٧٥٦/١٠ ،
١٣٧٨٨ ، ١٣٧٩٦ ، ١٣٨١٩ ، ١٣٨٢٩ ، ١٣٨٤٢ ، ١٣٨٦٦ ،
١٣٨٧٢ ، ١٤٠٦٢ ، ١٤١٦٧ ، ١٤٦٥١ ، ١٤٦٦٧ ، ١٤٦٩٤ ،
١٤٦٩٥ ، ١٤٩٠٣ ، ١٤٩٠٨ ، ١٤٩٤١ ، ١٤٩٤٢ ، ١٤٩٨٨ ،
١٤٩٨٩ ، ١٤٩٩٧ ، ١٥٢٦٢/١١ ، ١٥٢٩٥ ، ١٥٣٠٨ ،
١٥٣٤٠ ، ١٥٣٤٠ ، ١٥٥٠٨ ، ١٥٩٠٩ ، ١٦٢٨١ ، ١٦٥٦/١٢،
١٦٥٦٧ ، ١٦٦٨٤ ، ١٦٧٣١ ، ١٦٨٠٧ ، ١٧٢٧٩ ، ١٧٦٢٦ ،
١٧٦٥٢ ، ١٨٦٦١ ، ١٨٦٦٤/١٣ ، ١٨٨٥٣ ، ١٩١٤٤ ،
١٩٣٩٧/١٤ ، ١٩٤٤٠ ، ١٩٤٦٢ ، ١٩٥٠٢ ، ١٩٥١٩ ،
١٩٦٠١ ، ١٩٦٣٧ ، ١٩٦٥٥ ، ١٩٧٠٦، ١٩٧١٣ ، ١٩٧٤٥ ،

١٩٧٧٤ ، ١٩٨٦٥ ، ١٩٨٧٥ ، ١٩٨٨٤ ، ٢٠٠٨٤ ، ٢٠٠٨٥ ،
٢٠١٣٤ ، ٢٠٢٧٠ ، ٢٠٢٧٥ ، ٢٠٢٩٠ ، ٢٠٣٦٢ ، ٢٠٤٦٤ ،
٢٠٤٦٥ ، ٢٠٤٦٦ ، ٢٠٥٩٧ ، ٢٠٧٦٩/١٥ ، ٢٠٩٤٨ ،
٢٠٩٩٢ ، ٢١٠٧١ ، ٢١١٣٥م ، ٢١١٨٣ ، ٢١٢٥٣ ، ٢١٢٧٣ ،
٢١٣٤٧ ، ٢١٤٩٩ ، ٢١٦٧٧ ، ٢١٧٠٥ ، ٢١٧١٦ ، ٢١٧٩١ ،
٢١٨٠٤ ، ٢١٨٥٩ ، ٢١٩٣٦ ، ٢١٩٧٦ ، ٢١٩٧٩ ، ٢٢٠٥٠ ،
٢٢٠٦٣ ، ٢٢١٢٣ ، ٢٢١٩٦ ، ٢٢٢٣٥ ، ٢٢٢٣٧ ، ٢٢٣٨٠ ،
٢٢٥٠٠ ، ٢٢٤٠٤ ، ٢٢٩٢٦ ، ٢٣٢١٠/١٦ ، ٢٣٤٠٢ ،
٢٣٤٤٧ ، ٢٣٥٢٥ ، ٢٣٥٧٦ ، ٢٣٦٢٠ ، ٢٣٦٣٢ ، ٢٣٦٦٢ ،
٢٣٧١٤ ، ٢٣٨٠٥ ، ٢٣٨٤٢ ، ٢٣٩٣٥ ، ٢٣٩٧٧ ، ٢٤٠١٤ ،
٢٤٠٢٥ ، ٢٤٠٤٩ ، ٢٤١٠٥ ، ٢٤١٣١ ، ٢٤١٧٠ ، ٢٤١٨٠ ،
٢٤٢٨٩ ، ٢٤٣٥٠ ، ٢٤٣٧٥ ، ٢٤٣٧٦ ، ٢٤٤٧٢ ، ٢٤٥٦٤ ،
٢٤٦١٠ ، ٢٤٦١١ ، ٢٤٦٢٧ ، ٢٤٦٦٥ ، ٢٤٦٨٠ ، ٢٤٨٦٧ ،
٢٤٩٣٤ ، ٢٥٠٦٠/١٧ ، ٢٥٣٢٤ ، ٢٥٣٣٢ ، ٢٥٣٣٣ ،
٢٥٣٧٥ ، ٢٥٤٤٨ ، ٢٥٤٩٠ ، ٢٥٥٧٣ ، ٢٥٥٩١ ، ٢٥٦٤٢ ،
٢٥٦٦٨ ، ٢٥٦٧١ ، ٢٥٦٧٣ ، ٢٥٧٤٤ ، ٢٥٧٦٧ ، ٢٥٨٠٢ ،
٢٥٨٢٨ ، ٢٥٨٥١ ، ٢٥٨٩١ ، ٢٥٩٠٨ ، ٢٥٩٧ ، ٢٦٠٥٨ ،
٢٦٠٧٦ ، ٢٦١١٧ ، ٢٦١٤٣ ، ٢٦١٤٨ ، ٢٦١٥٦ ، ٢٦١٨٨ ،
٢٦١٨٩ ، ٢٦٢١٢ ، ٢٦٢٩٦ ، ٢٦٢٩٧ ، ٢٦٢٩٨ ، ٢٦٢٩٨ ،

٢٦٣١٦ ، ٢٦٤٢٣ ، ٢٦٥٠٣ ، ٢٦٥٤٤ ، ٢٦٥٨٤ ،
٢٦٧٥٧/١٨ ، ٢٦٧٩٨ ، ٢٦٨٠٧ ، ٢٦٨٣٩ ، ٢٦٨٤٩ ،
٢٦٨٧٩ ، ٢٦٩٨٣ ، ٢٦٩٨٤ ، ٢٧٠١٤ ، ٢٧٠١٥ ، ٢٧١٢٥ ،
٢٧٦٣٢ ، ٢٧٢٢٨ ، ٢٧٢٥٦ ، ٢٧٣٥٧ ، ٢٧٣٦٤ ، ٢٧٤٤٣ ،
٢٧٤٥٤ ، ٢٧٥٧٦ ، ٢٧٦٩٦ ، ٢٧٧٤٨ ، ٢٧٧٥٠ ، ٢٧٨١٥ ،
٢٧٨١٩ ، ٢٧٨٢٣ ، ٢٧٨٢٤ ، ٢٧٨٨١/١٩ ، ٢٨٠٣١ ،
٢٨٠٨٦ ، ٢٧١٠٨ ، ٣٨١٣٧ ، ٢٨١٤٠ ، ٢٨٢٣٨ ، ٢٨٣٦١ ،
٢٨٣٦٢ ، ٢٨٣٦٦ ، ٢٨٥٤٢ ، ٢٨٧٢٤ ، ٢٨٧٨٨ ، ٢٨٧٩٠ ،
٢٨٧٩٨ ، ٢٨٨٤٦ ، ٢٨٨٧٧ ، ٢٨٨٧٨ ، ٢٨٩١٦ ،
٢٩٠٣٠/٢٠ ، ٢٩٠٦٩ ، ٢٩١١٩ ، ٢٩١٧١ ، ٢٩١٩٦ ،
٢٩٢٠٨ ، ٢٩٣٢٠ ، ٢٩٣٢١ ، ٢٩٣٨٢ ، ٢٩٤٥٤ ، ٢٩٤٦٤ ،
٢٩٥٣٨ ، ٢٩٨٢٣ ، ٢٩٨٢٦ ، ٢٩٩٥٧ ، ٢٩٩٦٤ ، ٣٠٠١١ ،
٣٠٠٥٨ ، ٣٠٠٧٥ ، ٣٠٠٩٣ ، ٣٠١٨٣ ، ٣٠٣٧٣ ، ٣٠٤٠٠ ،
٣٠٤٠٨ ، ٣٠٤٨٠ ، ٣٠٥٦١ ، ٣٠٥٧٤ ، ٣٠٥٨٤ ، ٣٠٧٣١ ،
٣٠٧٦١ ، ٣٠٧٩٣ ، ٣٠٨٠٥ ، ٣٠٨٨٩ ، ٣٠٩٠٩ ، ٣٠٩٢٦ ،
٣٠٩٨٩ ، ٣٠٩٩٣ ، ٣٠٩٩٨ ، ٣١٠٠٤ ، ٣١٠٥٢ ، ٣١٠٧٦ ،
٣١١٠٥ ، ٣١١٤٢ ، ٣١١٥٥ ، ٣١١٨٣ ، ٣١١٨٤ ، ٣١٢٣٧ ،
٣٠٤٢١ ، ٣١٦٦٨/٢٢ ، ٣١٦٧٩ ، ٣١٦٨٠ ، ٣١٦٨٢ ،
٣١٦٨٣ ، ٣١٧٤٠ ، ٣١٩٨٧ ، ٣١٩٨٨ ، ٣١٩٩٠ ، ٣٢٠٢١ ،

٣٢٠٨٧ ، ٣٢١١٨ ، ٣٢١٧٠ ، ٣٢٢٣٥١ ، ٣٢٤١٤ ، ٣٢٤٥٣ ،
٣٢٥٧٨ ، ٣٢٦٠١ ، ٣٢٦١٨ ، ٣٢٦٧٦ ، ٣٢٧٢٤ ، ٣٢٧٧٢ ،
٣٢٧٧٨ ، ٣٢٧٨٦ ، ٣٢٨٢٨ ، ٣٢٨٦٣ ، ٣٣٠٤٦ ، ٣٣٠٩٣ ،
٣٣١١٠ ، ٣٣١٧٩ ، ٣٣٣٠٠/٢٣ ، ٣٣٣٤١ ، ٣٣٤١٣ ،
٣٣٤٣٨ ، ٣٣٥٣٦ ، ٣٣٦٣٨ ، ٣٣٦٥٠ ، ٣٣٧٦٠ ، ٣٣٦٦٧ ،
٣٣٨٧٠ ، ٣٣٨٩٥ ، ٣٣٩٢٢ ، ٣٣٩٢٤ ، ٣٣٩٣٧ ، ٣٤٠٥٣ ،
٣٤١٥٩ ، ٣٤١٧٠ ، ٣٤١٨٦ ، ٣٤٢٠٧ ، ٣٤٢٢٦ ، ٣٤٢٦٠ ،
٣٤٣٣٩ ، ٣٤٤٨٦ ، ٣٤٤٩٩ ، ٣٤٤٩٩ ، ٣٤٥٨٧ ، ٣٤٨٧٩ ،
٣٤٩٠٨ ، ٣٥٠١٦ ، ٣٥٠٣٠ ، ٣٥٠٦٩ ، ٣٥٠٧٠ ، ٣٥٠٨١ ،
٣٥٠٩٨ ، ٣٥٢٠٣/٢٤ ، ٣٥٣٠٢ ، ٣٥٤٦٩ ، ٣٥٥١٢ ،
٣٥٥١٧ ، ٣٥٦٠١ ، ٣٥٦٠٧ ، ٣٥٦٦٥ ، ٣٥٦٩٦ ، ٣٥٨٥٣ ،
٣٥٨٥٥ ، ٣٥٩٠٩ ، ٣٥٩٣٩ ، ٣٦٠٣٥ ، ٣٦٠٤٣ ، ٣٦٠٧٦ ،
٣٦١٠١ ، ٣٦٣٥٢ ، ٣٦٤٢١ ، ٣٦٤٣٢ ، ٢٦٦٠٢/٢٥ ،
٣٦٧٠٠ ، ٣٦٨٣٥ ، ٣٦٨٤٢ ، ٣٦٨٧٤ ، ٣٧٠٥١ ، ٣٧٠٥٩ ،
٣٧٣٩٦ ، ٣٧٤٤٠ ، ٣٧٥٢٥ ، ٣٧٥٢٦ ، ٣٧٦١٤ ، ٣٧٧٧٠ ،
٣٧٧٨٣ ، ٣٧٨٥٣ ، ٣٧٨٦٥ ، ٣٧٩٠٥ ، ٣٨٠٣٧ ، ٣٨٠٣٩ ،
٣٨١٢٢ ، ٣٨١٠٦ ، ٣٨١٨٨ ، ٣٨٢١٨ ، ٣٨٢٩٩ ، ٣٨٣٢٧ ،
٣٨٣٥٥ ، ٣٨٣٨٦ ، ٣٩٧٠٢/٢٦ ، ٣٩٧٢٢ ، ٤٠٥٠٦/٢٧ ،
٤٠٩٠١ .

نماذج من مرويات وآراء الليث فى تفسير الفخر الرازى [١]

: ٢١٥/٢ ، ١١٤ ، ٨٨/٦ ، ١٣/٧ ، ٥٥/٨ ، ٣٥/٩ ، ٣٧ ، ١٧/١٠ ، ٢٦ ، ١٥٩ ، ٨٨/١١ ، ١٣٧ ، ٢٤١ ، ٤/١٢، ١٧٢ ، ٢٧/١٣ ، ١٠٣ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١٩١ ، ١٩/١٤ ، ٤٧ ، ١٠٢ ، ١٢٣ ، ١٧٢ ، ١٩٩، ٢٣٣ ، ٢٤٤ ، ٢٣/١٥ ، ٦٠، ١١٣ ، ١٨٩ ، ٢٣٣ ، ٢٣٨ ، ٢٤٢ ، ٢٥/١٦ ، ٧٤ ، ١٢٢ ، ١٤٤ ، ١٢٥ ، ١٤٨ ، ١٨/١٧ ، ٧٨ ، ١٤٤ ، ١٦٤ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ٦٣/١٨ ، ٧٥ ، ١٥٠ ، ١٩٩ ، ٢٠٦ ، ١٤٤/١٩ ، ١٧٢ ، ١٨٤ ، ١٩٧ ، ٢١٥ ، ٢١٨ ، ١٥٨/٢٠ ، ٧/٢١ ، ٨٠ ، ١١٩ ، ٢١١/٢٢ ، ١٤٤/٢٣ ، ١٧٠ ، ١١٥/٢٦ ، ١٣٨ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٧٨ ، ٢٤/٢٧ ، ٢٢١ ، ٢٣٥ ، ٢١٥/٢٩ ، ٣١٣ ، ٩/٣٠ ، ٦٤، ٨٤ ، ١٢٨ ، ١٤٥ ، ١٧٤ ، ١٨٣ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٢٧ ، ٧/٣١ ، ٤٤ ، ٥٠ ، ٩٥ ، ١٠٠ ، ١٠٩ ، ١٧٣ ، ١٨٣ ، ١٩٢ ، ٦٧/٣٢ ، ١٠٧ ، ١/١٢ .

---

(١) طبع دار الفكر ــ بيروت .

أهم مرويات الليث بن سعد فى تفسير القرطبى [1]

: (ج١) ٢٠٥ ، ٢٤٧ ، ٣١٢ . (ج٢) ٥٦ ، ٦٩ ، ١٦٧ ، ١٩٧ ، ٢٠٤ ، ٢٢٤ . (ج٣) ٣٣ ، ٣٧ ، ٥٣ ، ٨١ ، ٨٧ ، ١٠٧ ، ١٤٤ ، ٢١٠ . (ج٥) ١٧ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٧ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ، ١٤٧ ، ١٦٨ ، ١٧٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢١٢ ، ٢٢٩ ، ٢٥٣ ، ٢٧٠ . (ج٦) ٤ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٨٧ . (ج٨) ٨ ، ١١ ، ٨١ ، ٩٢ . (ج٩) ٣٩ ، ١٨٩ . (ج١٠) ٣٥ ، ١٠٢ ، ١٠٣ . (ج١١) ١٦٩ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ . (ج١٢) ١٠٩ ، ١٢٩ . (ج١٣) ٣٠ . (ج١٧) ٨٧ ، ١٠٥ ، ١٢٤ ، ١٨٢ . (ج١٨) ٢١ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١٦٩ ، ١٩٢ ، ٢٠٠ . (ج١٩) ٥٤ ، ٦٨ ، ١٢٥ .

---

(١) طبع دار الكتب العلمية .

الخاتمـــــة :

ونختم هذه الدراسة الموجزة بقصيدة الشيخ عبد الغنى النابلســـى عندما زار مسجده وهى :

بأبى المكارم سيد الســـــادات	وهو الإمام الليث ذو البركـــات
لما تزل مصر وساير أهلهــــا	فى نعمة وعناية وهبـــــــات
بحر من العرفان يقذف جوهــرًا	من خالص التوحيد بالموجـــات
وهو الذى نفحت روايح ســـره	للزائرين بأطيب النسمـــــات
جبل من العلم المقدس راســـخ	حاز الفخار بأرفع الدرجـــات
رفعت عليه من المهابة قبـــــة	محفوظة من سائر الآفـــــات
يأتى لها الجانى فيغض ذنبـــه	ويفوز منه بسائر الحاجــــات
نور من الغيب اهتدت بظهـوره	أهل الهدى فى سائــر الحـالات
وله الكرامات التى تضولهـــا	كل النفوس وباهــر الآيـــات
قد جاءه المديون يشكو دينـــه	بتتابع الحســرات والزفــرات
فبدا له فى شكل طير ناطـــق	بلسان قارى فى أتـم لغـــات
حتى وفـا دينـــا علـى بيعــــه	من مال ذى شغف وذى رغبات
ولقد رآه فـى المنـام وقـال ذى	روحى أتتك بأحسن الهيئـــات
محبوسة من أجل مديـون وفـــا	دينا بمال من جنابك آتـــــــى
فأزال عنها الحبس من هو مشتـر	فمضت لما هى فيه من حضرات

فاعجب لأ فخــر ماجــد متكــرم بالروح منه وحبسها بالـــــذات
فهو الذى بالجود يعرف والعطـــا بين الورى فى سائر الأوقـــــات
أبدًا عليه من المهيمــن رحمــــة موصولة ببدائع الصــــلـــوات
ما هب طير الدوح يصدح فى الربا فشجى القلوب بأطيب النعمـــات
وهناك ما عبد الغنى سمت بـــه ذكرى الأحبة والزمان مواتى (١)

• • •

(١) الحقيقة والمجاز ط الهيئة العامة للكتاب صـــ ١٩٩٩مـــ٢٠٠٠م .

الفهـــرس

مطابع التجارية - قليوب - مصر

الثمن ٥٠ قرشا

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر